الزُّبدة في شرح البُردة

تأليف

بدر الدين محمد الغزي

904-984هـ 1499-1577م

حققها وقدم لها ودرسها

الدكتور عمر موسى باشا



الزّبدة في شرح البُردة

تأليف

بدر الدين محمد الغزي

904-984هـ 1499-1577م

حققها وقدم لها ودرسها

الدكتور عمر موسى باشا



مقدمة المحقق

هذه هي الرسالة الثالثة التي أشرع في تحقيقها بعد الرسالتين السابقتين وهما « آداب المؤاكلة » و « آداب العشرة » وهي آخر ما اختاره الناسخ في المجموع المخطوط الموجود في حوزتي من رسائل الشيخ بدر الدين الغزي ، وتوجد منها ثلاث نسخ في العالم بالاضافة اليها ، وهي موجودة في المتحف البريطاني واستنبول وبريل ، ولا بد لي ، وانا أقدم هذه الرسالة الجديدة في شرح بردة البوصيري ، من أن أسجل بعض الملاحظات العابرة التي استرعت انتباهي خلال تحقيق هذا الشرح .

أهم هذه الملاحظات ان الغزي صنف هذا الكتاب للصدر الاعظم اياس باشا في عهد السلطان العثماني سليمان الاول (١) ، في أواخر النصف الاول من القرن العاشر الهجري ، وقد لوحظ في ختام مقدمة المؤلف انه اشار الى الوزير المذكور مادحا ، وذكر انه شمله بعين رعايته : « وظفرت من مشاهدة جماله بغاية المأمول ، فانتعشت عند ذلك وطاب العيش ، وزال ما كنت أجد من قلق البعد والطيش » (٢) .

ويعني هذا القول انه كان قد فارق الامان والسلامة وانه تقرب بهذا التصنيف من الصدر الاعظم الذي كان الشفاعة في استقراره واطمئنانه .

والملاحظة الثانية : ان الشارح اطلع على معظم روايات البردة واشار اليها خلال شرحه ، ونوه ببعض الروايات المجمع عليها كما في قوله مثلا « واكثر السماع على هذه النسخة » (٣) ، او قوله : « والاول انسب وعليه الرواية » (٤) ، او قوله : وفي نسخة بدل « اذا » « اذ » فتكون تعليلية، وهو اولي » (٥) ، كما انه كان في بعض الاحيان يفضل غير الرواية المشهورة « وفي نسخة « تجلى » ومعناه صحيح وهو اليق بالتعظيم » (٦) .

يضاف الى ذلك انه كان في بعض الاحيان يشك فيما يرويه ، فبعد

---

(١) هو سليمان بن ياوز سليم المعروف ب (سليمان القانوني) ولد سنة ١٤٩٤ م وولي السلطنة سنة ١٥٢٠ م وكانت وفاته سنة ١٥٦٦ م .

(٢) المقدمة ورقة ٢١ / ظ .

(٣) الزبدة ورقة ٥٥ / و .

(٤) الزبدة ورقة ٢٩ / و .

(٥) الزبدة ورقة ٥٦ / ظ .

(٦) الزبدة ورقة ٥٦ / ظ .

شرحه البيت الرابع والسبعين علق على هذا البيت قائلا : « ولست على يقين من ثبوت هذا البيت في الرواية (١) » ويظهر ان شكه هذا جعله يهمل جزءا في ختام القصيدة المذكورة ، وهو سبعة ابيات اضافها الشراح المتأخرون رغبة في التبرك والاكثار من الصلاة والسلام على الرسول الكريم .

والملاحظة الثالثة ان الشرح المذكور يطلعنا على بعض المؤلفات المأثورة « كالصحيحين » و « السنن » و « الشفاء » وغيرها من الكتب التي تمد الشاعر والشارح معا مما ورد في متن القصيدة وشرح الفزي من أخبار الرسول وسيرته .

أضيف الى ذلك أن هذا الشرح يعطينا بعض المعارف التاريخية والجغرافية بشكل خاص ، من ذلك مثلا حديثه عن الشمس وبعدها وحجمها كما في قوله : « انها قدر كرة من الارض مائة مرة ونيفا وستين مرة ، وقيل : قدر الدنيا ، فهي لا تدرك بكمالها حالتي القرب والبعد ، وان شوهدت صورتها ... وبعد الشمس يكون حالتي طلوعها وغروبها ، وقربها يكون في غير ذلك ، وقبيل بعدها واقع مطلقا وقربها فرض (٢) ».

من ذلك ايضا حديثه عن الكواكب ، فقد ذكر ان « نورها مستفاد من الشمس .. يفيض نورها على الكواكب بعد ارتفاعها ، فاذا ظهرت لا يبقى للكواكب نور .. (٣) » .

يبقى علينا ان نعرض ملاحظاتنا عن الناسخ نفسه ، فقد كان يصوب ما يخطىء بكتابته دون شطب خطئه ، اما ان يكون فوقه مباشرة او في الهامش ، واذا فاته بعض حروف الكلمة تجاوزا ، فانه يستدرك ذلك بعده مباشرة دون التقيد بالتقديم او التأخير ، فكأنما كان يعتمد على ذكاء القارىء وينتظر منه قراءتها عكسا . يبدو لي من التعليق الوحيد الذي نقلناه من الهامش ان اسم الناسخ هو (علي) ، ويبدو ايضا انه لم يكن على درجة عالية من الثقافة ، فقد كان كثير التعثر والخطأ فيما ينقله ، فوقع في التصحيف مرارا كثيرة شوهت النص تشويها كبيرا .

ولم ينس الناسخ ان يشير الى تاريخ فراغه من نسخ الكتاب مذيلا ذلك بقوله :

« ووافق الفراغ من نسخة هذا الكتاب ، غرة ذي الحجة ، يوم الاربعاء ، من شهور سنة ست عشرة بعد الالف من الهجرة النبوية على

---

(١) الزبدة ورقة ٤٤ و .
(٢) الزبدة ورقة ٣٩ ظ .
(٣) الزبدة ورقة ٣٩ ظ .

صاحبها افضل الصلاة واتم ... » (١) .

كان هذا الشرح مصدرا لمن جاء بعد الغزي من الشارحين فلقد تبين من المقارنات بين الشروح ان الباجوري « المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ » قد اعتمد في شرحه على هذا الشرح اعتماداً كليا ، ولكنه لم يكتف بما اخذه من الغزي ، بل اغناه كل الاغناء ، فأضاف اليه ذكر الفوائد والخصائص من كل بيت ، ولعله الوحيد الذي فعل ذلك ، فكأن البردة اصبحت عنده ضربا من الطب النفسي ، وهذا امر هام نسجله للمتصوفة ، اذ انهم كانوا الرواد الاولين في نشوء هذا النوع من الطب النفسي .

لكن الذي نؤاخذ عليه هذا الشارح هو انه لم يشر البتة الى المصدر الذي كان عليه جل اعتماده ، فلا نعجب ان راينا النصوص واحدة وبين وفاتيهما (٢٩٢) سنة .

لوحظ ان التشابه كان عاما وخاصا . فالتشابه العام ظاهر في الخطة التي سلكها الغزي واتبعه فيها الباجوري فكان يذكر شيئا من كلمات البيت ويتابع شرحها المفصل لغويا واعرابيا ومعنويا وبلاغيا . والتشابه الخاص ظاهر في النصوص نفسها خلال الشرح . يقول الغزي في البيت الاول :

« وقد جرد الناظم من نفسه نفسا خاطبها فقال ... »

ويقول الباجوري :

« قد جرد المصنف من نفسه شخصا ... وخاطبه بذلك مستفهما ... »

ويبدو لي ان الناسخ المذكور ربما كان قد اعتمد ونقل عن نسخة كتبها احد تلامذة الشارح الغزي ، اذ وردت الاشارة الى ذلك في بعض المصطلحات ، وقد وضحنا ذلك في بعض تعليقاتنا على الشرح المذكور ، نذكر مثلا منها انه كان يقطع رواية خبر وشرح ليقول معترضا رواية النص الاصلي : « ضبط « بدأ » بالهمزة » ...

★ ★ ★

شغلت البردة الناس قديما وحديثا ، وكنت قد اتخذتها عمدة الدراسة خلال قيامي بالتدريس في كلية الآداب بجامعة دمشق خلال عدة سنوات، ورايت من الفائدة ان اتابع العناية بتدريس هذا النص في كلية الآداب بجامعة الجزائر ، ولا سيما ان مؤلفها البوصيري هو مغربي الاصل من صنهاجة ، ومن حق اهل المغرب علي ان اضع امامهم هذا الشرح الذي ينشر لاول مرة ، وان اشفع الدراسة القديمة بدراسة حديثة تبرز بعض ما فيه من اسرار الجمال .

الجزائر ١٥ كانون الثاني ١٩٧٣

عمر موسى باشا

---

(١) الزبدة ورقة ٥٧ ظ .

أقسام قصيدة البردة

يتحتم علينا أن نقسم هذه القصيدة النبوية الطويلة الى أقسامها الرئيسية تسهيلا لدراستها وتوضيحا لما فيها ، وهي ـ كما هو معروف ـ مؤلفة من عشرة أقسام رئيسية هي كما يلي :

القسم الاول في النسيب النبوي (١ — ١٢)
القسم الثاني في التحذير من هوى النفس (١٣ — ٢٨)
والقسم الثالث في مدح الرسول الكريم (٢٩ — ٥٨)
والقسم الرابع في التحدث عن مولده (٥٩ — ٧١)
والقسم الخامس في التحدث عن معجزاته (٧٢ — ٨٧)
والقسم السادس في التحدث عن القرآن الكريم (٨٨ — ١١٤)
والقسم السابع في التحدث عن الاسراء والمعراج (١٠٥ — ١١٧)
والقسم الثامن في التحدث عن جهاد الرسول وغزواته (١١٨ — ١٣٩)
والقسم التاسع في التوسل والتشفع (١٤٠ — ١٥١)
والقسم العاشر في المناجاة والتضرع (١٥٢ — ١٦١)

هذه الاقسام العشرة تساعدنا على بيان التقسيم المنطقي الذي اخذ به الشاعر نفسه في هذا النص الذي يصلح ان نطلق عليه اسم الملحمة ، وان كنا تتجاوز في اطلاق هذه الصفة على القصيدة تعريفات النقاد المحدثين •

لقد حرصنا في دراسة النصوص على الوقوف على النص كاملا ، ذلك أنني أعتقد أن دراسة مختارات من القصيدة لا تفي بالغرض اطلاقا، ولا تعطي صورة حقيقية عن الشعر والشاعر •

لهذا تعمدنا في دراساتنا التطبيقية ابراز النصوص كاملة وان طالت ، فالقصيدة هي في الواقع وحدة كاملة ، وقد أعرض الاقدمون عن اختصار كتبهم كما أثر ذلك عن الجاحظ وياقوت ، فمن حقنا اذاً أن

نعرض عن اجتزاء القصيدة لان ابياتا معدودة لا يمكن بأية حال من الاحوال أن تعطينا صورة عن الشاعر ومميزاته .

القسم الاول

تتألف البردة كما ذكرنا من عشرة أقسام رئيسية ، ففي القسم الاول منها يتحدث فيه البوصيري عن معالم الحجاز ، ويستهله بالنسب النبوي ، ومن خلاله نلمح نار شوقه المتقدة ، ونتبين حنينه وتلهفه الى المشاهد النبوية في مكة والمدينة والى مشاعر بيت الله الحرام .

ولقد استطاع الشاعر أن يعرض هذا النسيب عرضا موفقا ، فاستمدَّ معظم صوره مما عرفه لدى الشعراء السابقين ، بيد أنه لم يغرق في أوصاف الغزل المادية كما هو الحال عند شعراء الغزل وعند بعض شعراء المدائح النبوية ، وانما التزم الاحتشام والادب ، ولا سيما أنه في معرض فرض مدحي يتعلق بالرسول الكريم .

ولا بد لنا ، لكي تتبين المدى الذي التزم فيه الشاعر مفاهيم النقاد البلاغيين ، من ذكر قول ابن حجة الحموي :

« ان الغزل الذي يصدر به المديح النبوي ، يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ، ويتضاءل ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع واكتاف حاجر ويطرح ذكر محاسن المرد ، والتغزل في ثقل الردف ، ورقة الخصر وبياض الساق ، وحمرة الخد وخضرة العذار ، وما أشبه ذلك ، وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الادب » (١) .

ان هذا القول — في الواقع — الميزان النقدي الذي يقوّم به الغزل بمختلف انواعه ، ولا شك ان هذا النسيب التقليدي منهج لا بد منه في المدائح النبوية وغيرها عند الاقدمين من الشعراء والنقاد .

قد تتساءل : وهل كان الشاعر مدفوعا فيه بعاطفة صادقة ، والحقيقة التي لا شك فيها هي انه كان خلي القلب من الهوى عندما

---

(١) ابن حجة : خزانة الادب (تقديم ابي بكر) ص ١٤ .

نظم القصيدة المذكورة . ولا يعني هـذا انه لم يجد في تقديم هـذا النسيب ، ولقد أشار الدكتور زكي مبارك الى هذه الظاهرة قائلا :

« ومع أن الشاعر كان فارغ القلب من الصبوات الحسية ، فاننا نراه قارب الاجادة في التعبير عن لوعة الوجد حين قال :

أيحسب الصب أن الحب منكتـــم ما بين منسجم منـه ومضطرم
نعم سرى طيف مـن أهوى فأرقني والحب يعترض اللذات بالالم(٢)

مهما يكن من أمر هذا وذلك ، فلا شك أن البوصيري نهج أسلوب الشعراء التقليدي ، وأجاد في نسيبه كل الاجـادة ، اذ عبر عن وجده وشوقه ، والتزم السنن الذي وضعه البلاغيـون فـي شرائط النسيب النبوي .

القسم الثاني

ويتحدث البوصيري فـي القسم الثاني عـن النفس الانسانيـة والتحذير من هواها ، وقد لاحظنا من خـلال شرح بعض أبيات هـذا القسم أنها كانت موفقة من الناحية الشعرية وجيدة المعنى بشكل عام .

فهي تمثل الصراع بين نفس الشاعر وأهوائه ، وهو يدعو فيها الى الحذر من شرها المستطير ، وهي بالتالي تمثل المعاناة الشعورية والتجربة النفسية الخاصة ، هـذه النزعة الذاتية التـي اتخذت سبيلها في بعض المظاهر العقلية الخارجية .

ولعل حديث الشاعر عـن الشيب ونصحه وعذله دليل علـى نظم البردة في أيام كهولته ، وهو كما رأينا يرغب من خلالها في اللجوء الى الرسول ليشفيه الله مما أصابه وأقعده عـن النهوض والسير ولذلك جاءت الابيات طافحة بالعاطفة الصادقـة ، يضاف الى ذلـك أن الشاعر استطاع بمهارة أن يعرض لنا نظرات هامة على جانب كبير من العمق في

---

(٢) زكي مبارك : المدائح النبوية في الادب العربي ص ١٥٨ .

التحدث عن النفس الانسانية ورياضتها ، فحذرنا مـن دسائس الجوع والشبع ، وشبه النفس بالطفل الرضيع :

والنفس كالطفل ان تهمله شبّ على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

كما عرض الشاعر في هذا القسم بعض آرائه الدينية ، فذكر أن أداء الفرائض فقط لا يصل بالانسان الى منـازل الاصفياء البررة في معاريج السموات •

القسم الثالث

وينتقل الشاعر الى القسم الثالث، فيتحدث عن الرسول بعد حديثه الشائق عن النفس ويعرض لنا أحواله ، ويذكر قيامه الليل متهجدا حتى ترم قدمـاه ، ويذكر أنه كان يشد احشاءه مـن السغب ويطوي تحت الحجارة كشحا مترف الادم ، ولا يلبث بعد ذلك حتى يتم صورة زهده وتقشفه فيتحدث عـن ابائه وشممه وعزة نفسه حـين راودته الجبـال الذهبية ، فأعرض عن نضارها وعسجدها ونأى بجانبه زاهدا في الحياة الدنيا وما فيها من مباهج •

يستطرد الشاعر في هـذا القسم فيصف الرسول الممدوح ، فهو سيد الكونين دنيـا وآخرة وسيد الثقلين انسا وجنا ، وسيد الفريقـين عرباً وعجما ، وهو الآمر بالمعروف والناهي عـن المنكر وهو الشفيع المشفع في كل الاحوال والاهوال ، والداعي الى دين الهدى والحق ، فمن آمن بما جاء به فقد فاز فوزا مبينا •

ولا يلبث بعد ذلك حتى يفضله علـى المرسلين جميعا في الصفات والذوات ، ولقد فاقهم في الخَلق والخلق ، وبذّهم في العلم والكرم ، ثم يوغل في استقصاء هذه المعاني ، فيذكر أن كلا من الانبياء ليس الا غرفا من بحره او رشفا من ديمه ، فهم اذا لا يدانونه فيما آتاه الله ، وانما هم واقفون جميعا لديه عند حدهم مـن نقطة العلم او من شكلة الحكم •

انه حبيب الله الذي اصطفاه بعد ان اكتملت صورته وتم معناه ،

فهو نسيج وحده في محاسنه لانه اوتي جوهر الجمال الذي لا ينفصم ، وهذا الاصطلاح من آثار علم المنطق واصطلاحات المناطقة .

وكما نفى الشريك في المحاسن لعدم انقسام جوهر الحسن ، فانه نفى ما قالته النصارى في عيسى بن مريم انه ابن الله ، وهو ينتقل في هذا القسم من العرض الخبري في مدح الرسول الى الطلب الانشائي .

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف   وانسب الى قدره ما شئت من عظم

أفلح البوصيري فيما اورده من النعوت في وصف الرسول ، لكنه لا يلبث بعد ذلك حتى يسمو في آفاقه الشعرية النبوية ، فيتحدث بأسلوب الوجوب او الامتناع :

لو ناسبت قدره آياته عظما   احيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

هكذا يبلغ الشاعر قمة الابداع الفني في هذا القسم ، ويستطرد من خلال ذلك فيصف لنا شخصية الرسول التي لا يدرك كنهها قائلا :

اعيا الورى فهم معناه فليس يرى   للقرب والبعد فيه غير منفحم

استخدم في هذا القسم بعض المعاني القديمة التي تعاورها الشعراء من قبله ، فهو كالشمس يعشي نوره الابصار ، وهو كالزهر في الترف ، والبدر في المنزلة والشرف ، والبحر في الجود والكرم ، والدهر في العزائم والهمم .

انها معان مطروقة وتشبيهات تقليدية ، لكن الشاعر وشحها بأسلوب التشطير الذي عرفناه عند ابي تمام ، وتعريفه عند علماء البلاغة « ان يقسم الشاعر بيته شطرين ، ثم يصرع كل شطر منهما لكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ليتميز كل شطر عن اخيه » (١) :

---

(١) ابن حجة : خزانة الادب (تقديم ابي بكر) ص ٢١٥ ، والازهري : شرح البردة ص ٣٠ .

كالزهر في ترف، والبدر في شرف   والبحر في كرم والدهر في همم (١)

انها اذاً معان تقليدية وشحها ببعض أنواع البديع ، ولن يضيرها تقادم العهد عليها ، او استخدامها في هـذا الغرض بالذات ، حتى انه في قوله :

كأنما اللؤلؤ المكنـون في صدف   من معدني منطـق منـه ومبتسم

اخذ معناه من قول البحتري :

فمن لؤلؤ تجلوه عنـد ابتسامها   ومن لؤلؤ عنـد الحديث تساقطه

ولم يكتف باقتباس المعنى البحتري الذي كان من عبث الوليد ، وانما نقله الى المدح النبوي ، وهذا النقل في المعاني من غرض الى آخر معروف في العصر المملوكي .

ولم يكن الامر ليقف عند اقتباس معـاني السابقين مـن الشعراء وزخرفة صورهم ، وانما نراه يستمد بعض الصور الشائعة فـي أذهان العامة وأخيلتهم مما يجري على ألسنتهم ، حفظها لنا الزمن ، وتعاقبت عليها السنون كما في قوله :

لا طيب يعـدل طيبا ضم اعظمـه   طوبـى لمنتشق منـه وملتثـم

قـد نظن ان البوصيري يبالغ في اطـلاق النعوت علـى الرسول الممدوح ، ولكن هذا الظن لا يلبث ان يتبدد حـين نطلع علـى المصادر الدينية في القصص الدينية والمعاريج وقـد رفدت الشاعر بكثير مـن المعـاني فهو مقلد لما جاء فيها ناقل عنهـا ، لم يخرج مما اوردته مـن حوادثها ، ولم يتجاوز حدودها فهو متعبد زاهد وهو في ورع ، ومقعد أثقل المرض المزمن نهضته ، يحـاول اقصى ما يستطيع ان يبدع صورة

---

(١) من ذلك قول مسلم بن الوليد :

موف على مهج في يوم ذي رهج   كأنـه اجل يسعى الى أمـل

وقول ابي تمـام :

تدبـير معتصم باللـه منتقـم   لله مرتغب في اللـه مرتقب

مثلى للشفيع المشفع ، فلعله يبرأ من العجز الذي لحقه .

انه في الواقع يرسم صورة الايمان المطلق في أعماق هذا القلب الواجد ، يعلل نفسه بالشفاء الالهي بعد ان عجز البشر عنه . ان بردة البوصيري ملحمة الانسان الضعيف امام الارادة الالهية الكبرى والتي لا تقهر .

القسم الرابع

ننتقل الى القسم الرابع من بردة البوصيري ، وقد اقتصر الشاعر فيه على التحدث عن المولد النبوي ونحن نعرف اهمية هذا الحدث الديني في هذا العصر ، فقد عني المماليك ومن سبقهم بالاعياد المختلفة الدينية ، فاذا أطال البوصيري وقفته عند المولد فما ذلك الا لانه يعبر عن العصر وعن الاحوال الفكرية والاجتماعية والدينية السائدة فيه .

ان ابرز ما يتميز به هذا القسم هو التسلسل المنطقي في عرض معاني النص ، فلقد رأيناه في الاقسام التي مرت معنا يستهل البردة بالنسيب النبوي ، ثم يتحدث عن النفس الانسانية الامارة بالسوء من خلال تصويره نفسه الآثمة المقصرة ، والتغلغل في وصف هذا الصراع النفسي بين نوازعها الشيطانية ورغباتها الذاتية في التخلص من ادران الشهوات والمحارم والتزام حمية الندم ، ولا يلبث الشاعر بعد ذلك حتى يتحدث عن الرسول الكريم حديثا عاما . ثم يخصص هذا الحديث فيعطي كل معنى حقه من التوضيح .

لقد لاحظنا خلال شرح بعض الابيات في هذا القسم ان البوصيري وقف عند مولد الرسول واستمد كثيرا من معانيه من التاريخ الاسلامي والقصص الفارسي قبل الاسلام ، وكان يعتمد في ذلك على الاخبار الشائقة والقصص الدينية التي تضفي على هذا الموضوع جمالا شعريا أخاذا ، لانه يعيدنا الى الملاحم المعروفة في الادب العالمي .

لن نناقش هذه الموضوعات التي أوردها الشاعر من حيث صحتها ودلالاتها وموقف فقهاء السنة منها كما فعل الدكتور زكي مبارك ، وانما أذكر هنا باجمال ان الشاعر تأثر كثيرا بما حرصت كتب السيرة

النبوية على ذكره من الارهاصات التي سبقت البعثة النبوية ومهدت لها.

ان الفرس أيقنوا بحلول البؤس والنقم ، وبلاط كسرى تزلزل فتصدع ايوانه ، وتساقطت بعض شرفاته وخمدت النار المقدسة ، وهي نار (آتر) المعروفة في الديانة الزرادشتية (١) وهذه النار من أهم الشعائر الدينية المعروفة لدى الفرس ، فهي تبقى في اشتعال دائم ، ولا تترك تخمد في لحظة من اللحظات . وقف شراح البردة عند هذه النار المقدسة التي خمدت ثم همدت فقالوا : « والمراد من النار نار الفرس التي كانوا يعبدونها ، وكان لها خدمة يوقدونها ، ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام ، وفي عبارة بعضهم بألفي عام » (٢) . ولعلنا أدركنا هذا التشابه بين ما ذكرناه عن نار الفرس والتقاليد المعروفة عندهم وما اورده البوصيري من ذكر هذه النار .

لم يقتصر الشاعر على ذكر النار المقدسة التي همدت ، ونهر الفرات الذي ضل طريقه في وادي سماوة ، وكان به قوام امرهم ، وانما تحدث بعد النهر الضال عن بحيرة ساوة العظيمة التي خسفت بها الارض وجف ماؤها ، وكانت من قبل بحيرة عظيمة تسير فيها السفن للبلاد التي تقع على ساحلها ، وحولها بيع وكنائس ولكنها خربت ودرست .

هذه بعض الاحداث التي راق للشاعر أن يوردها لانها رافقت او سبقت مولد الرسول ، وهو على الارض ، بيد انه يوسّع مدى مسرحه الشعري فيتحدث عن الجن التي كانت تهتف في أعالي الجبال وفي بطون الاودية مبشرة بالمولد الكبير . فهذا هاتف يهتف على الحجون ، وينشد شعره يمدح به امرأة مأجدة من بني زهرة . وهذا هاتف سواد بن قارب أنشده خلال ثلاث ليال سويا فيها الحث على مجيء الرسول والايمان به ومدحه . كما اشار البوصيري الى الانوار الساطعة التي رافقت مولده فأضاءت لها قصور الشام .

---

(١) وليم دورانت : قصة الحضارة ، ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربي (قصة الحضارة الفارسية ص ٤٨) .

(٢) الباجوري : شرح البردة ص ٣٣ .

هذه بعض الاحداث التي رافقت المولد النبوي ، واسترعت انتباه الشاعر فكانت صورة شعرية رائعة موفقة ابدعتها القصص الدينية ، ووفق الشاعر في عرضها واخراجها في هذه المدحة النبوية او الملحمة العربية ان صح التعبير .

نقف وقفة ثانية بعد الوقفة الاولى لنستمع الى الشاعر يروي لنا قصة كاهن الكهنة والمعروف أن لكل كاهن تابعا من الجن يتسقط اخبار السماء ويسترق منها السمع . ويا للعجب لقد حمل التبعة من الجن اخبارا عظيمة ، فأخبروا الكهنة بهذا الحدث الخطير ، وهؤلاء نقلوا ذلك للناس بدورهم ، وهو ان الكفر لن تقوم له قائمة وان الدين المعوج لن يدوم ، وتوالت الشياطين تسترق السمع، فانقضت الشهب الثاقبة على هؤلاء ، فولوا الادبار ، وابتعدوا عن السماء ، يتبع كل شيطان مارد منهم اثر شيطان هارب .

هكذا كان الشاعر يطوف بخياله بين الارض والسماء ، والانس والجن . بين الجبال والاودية والنور والظلام ، والكفر والايمان والجاهلية والاسلام . ويعود بعد هذا التطواف الى الارض ، يتتبع دروب الشياطين الهاربة ، فيتحدث عن هربهم ويشبههم بأبطال ابرهة اصحاب الفيل وبالعسكر الذي قذف بالحصى من راحتي الرسول واستتبع حديث الحصى ، فذكر التسبيح المأثور في كفي الرسول .

افلح البوصيري في هذا العرض الاخباري الموفق ، وهذا الوصف الدقيق للحظة الخالدة التي ولد فيها الرسول الكريم .

كان هذا القسم من القصيدة يمثل الارهاصات التي سبقت البعثة النبوية ، وقد انهاها الشاعر بذكر قصة اصحاب الفيل ، وما حصل لهم ببركة دعاء عبد المطلب تأليفا لقريش وتمهيدا للمولد .

وقف الدكتور زكي مبارك عند بعض هذه الامور موقفا خاصا به ، فذكر أنه « لم يعرف لشيء من ذلك سند صحيح من التاريخ ، ولا نعرف متى نشأت هذه الاخبار عند المسلمين ، وأغلب الظن انها من وضع القصاص الذين ارادوا ان يصوروا مولد الرسول بالصور التي أثرت عن انبياء الهنود وقد اكثر مؤرخو المولد من هذه الاخبار وطاف

ـا جمهور الناظمين في المدائح النبوية » (١) .

لن نناقش هذه الامور التي أثارها الدكتور زكي مبارك وشكك في صحتها ، وانما نريد ان نذكر ان هذه القصص الدينية ، وما يرافقها من خيال شعري وثاب ، هو ما يهمنا في دراسة القصيـدة البوصيرية وتحليلها ، وما تتطلبه من الملاحم في الادب العربـي . لقد رفدت هذا الغرض في العصر المملوكي بعض عناصر الملاحم التـي تمدها بالخيال الشعري الوثاب والآفاق الدينية التـي تطالع من خلالها ابطـال هذه الملحمة في تاريخنا الادبي .

تلك هي بعض الصور الشعرية التـي استرعت انتباهنا في دراسة هذا القسم من البردة ، ولعلنا أدركنا المميزات الخاصة التي ميزت هذا القسم عن غيره من الاقسام السابقة ، ورأينا مـن خلالها ان الشاعر قد انتقل من الانفعال التقليدي في الاقسام الثلاثة الى الانفعال الحقيقي ، فكان ذاتيا فيما أورده أو تخيلـه . انـه كمتصوف زاهد وناسك عابد أقعده المرض وأثقل نهضته ، يحاول ان يتسامى في الآفاق النبوية ، وينتقل وهو العاجز مصعدا في المعارج السماوية ، فكان هذا الوصف الحي انعكاسا لمعاناة نفسية واستجابة ذاتية لانفعال داخلي ، فيه الصراع النفسي على أشده ، وهو العليل السقيم . ولعل هـذا الانفعال بالذات هو الذي بدد من نفس الشاعر اليأس القاتل والتشاؤم المرير .

ولقد لاحظنا من خلال دراسة هـذا القسم اشراقة الامل في قلب هذا المتصوف فكان التفاؤل من خلال هذه الاشراقة النفسية في وصف يوم المولد . انه الاشراق النفسي الذي أنهض الشاعر بعـد ان ساور العجز والضعف اركانه ، ولعلنا نجد في ذكر المعجزات الكبرى موضوع القسم الخامس من بردة الشاعر معجزة الشفاء .

---

(١) المدائح النبوية ص ١٦٨ .

القسم الخامس

وفي هذا القسم تابع ذكر المعجزات النبوية الكبرى ، فتحدث عن الاشجار التي لبت دعوته وسعت اليه تمشي على ساق بغير قدم ، ثم سجدت بين يديه ، ولعله أراد الاشارة الى ما روي عن الرسول من أحاديث مأثورة في هذا الباب ، منها مثلا حديث الاعرابي الذي سأل الرسول آية من آياته ، فأمره أن يدعو الشجرة باسم الرسول فجاءت الشجرة ، فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها وقطعت عروقها ، ثم وقفت وحيت الرسول . وحديث الشجرتين اللتين التأمتا في شاطىء الوادي لستر الرسول . لقد جمع الشاعر في بيت واحد قصة الاشجار الثلاث ، اي انه اورد القصتين المعروفتين في السيرة النبوية ، ولعلنا لاحظنا أنه اختار التعميم دون التخصيص ، وظهر التأثر حتى بالنص حينما قال : (على ساق بلا قدم) وهو النص نفسه المأثور الوارد . لكنه لم يكتف بما ورد في نص السيرة ، وانما جدد وابتكر حينما اوغل في الوصف ، فأضفى على هذه القصة الشعرية نبيئا من نسج خياله لم يعرف في نصوص الحديث المأثورة في هذا الباب ، فقد سطرت تلك الاشجار الساعية وهي تسير على ساقها ، سطرا للذي كتبته فروعها من بديع الخط الى اللقم ، اي في وسط الطريق الذي سعت فيه .

ينتقل البوصيري بعد معجزة الاشجار الثلاث ، الشجرة الساعية على ساقها والشجرتين الملتئمتين ليتحدث عن معجزة جديدة تناقلها الناس قبيل البعثة يوم توجهت قريش جريا على عادتها في رحلة الصيف الى بلاد الشام ، وهذه اشارة الى ما روي عن أبي طالب يوم خرج في رحلته المشهورة هو وجمع من اشياخ قريش فأشرفوا على الراهب بحيرا ، وكان معتزلا في صومعته ، فنزلوا عنده ، وحطوا رحالهم فقال لهم : « هذا رسول الله الذي يبعثه رحمة للعالمين » . وفي خلال هذا الحديث أشار الى الغمامة التي كانت تظلله فوق رأسه حين أشرف من مكة حتى وصوله. وقد لاحظنا حتى في هذه القصة ذكر سجود الشجرة في حديثه عن تظليل الغمامة له، ولكنه لم يكن ليتقيد تماما بالنص المأثور،

فقد اهمل سجود الشجر وأدخل تشبيه آثار الشجر الساعي اليه بالخط والسطور .

تابع حديث المعجزات الكبرى . فوقف عند انشقاق القمر فلقتين ، وأقسم بالقمر المنشق او برب القمر . وقصة الانشقاق معروفة ، فقد سأله اهل مكة آية معجزة ، فأراهم انشقاق القمر فلقتين ، فقال كفار قريش : « هذا سحر مستمر » وتتداعى افكار الشاعر ، ويتذكر انشقاق قلب الرسول وقد انشق اربع مرات ..

ويتذكر قصة الغار في جبل ثور بأسفل مكة حيث كان يختبىء مع ابي بكر الصديق ، وقد بقيا فيه ثلاث ليال ، فلم يعرف المشركون أمرهم بعدما رأوا الحمام حول الغار والعنكبوت تنسج عليه خيوطها خلال أمد يسير .

هكذا كان البوصيري في هذا القسم يتنقل من ذكر معجزة الى ذكر أخرى حتى ينتهي به المطاف من ذلك كله ليذكر لنا الحكمة الخالدة:

وقاية الله اغنت عن مضاعفة　　　من الدروع وعن عال من الاطم

انتقل الى استجارته بالرسول الكريم ، فانه لا يرد سائله ، فلقد علمته الايام أنه ما ناله ضيم ، ولا حزّبه أمر الا نال من لدنه جوارا ، ولا سأله غنى الدارين الا حبي بالعطاء من خير مطلوب . ثم حدثنا عن الوحي ، وعرّض بالخلاف حول وقوعه في الحقيقة او المنام ، ولا بد لنا هنا من الاشارة الى رأي الفقهاء من اهل الحق الذين يرون ان الوحي ليس مكتسبا خلافا لما يقوله الفلاسفة الذين يرون ان الوحي يكتسب بالخلوة والرياضة الروحية .

كان الشاعر يخاطب كل معاند وقوع الوحي في النوم ، فان الرسول اذا نامت عيناه لا ينام قلبه ، ولقد أدركه الوحي ، وهو على رأس الاربعين ، ولا ينكر في هذا العمر رؤيا محتلم الوحي في نومه .

ويتابع حديثه عن الوحي بقوله :

تبارك الله ما وحي بمكتسب　　　ولا نبي على غيب بمتهم

ولعله شعر بالحاجة الماسة للعودة الى ربه ، فهو يكرر ذكر الله في

هذا القسم ثانية بعد قوله (وقاية الله) ولعلنا أدركنا معنى التبارك هنا ، وهو التنزه والتعاظم ، ولعلنا أدركنا ايضا ما يريده الشاعر ، وشعرنا بحرارة الجذوة المتقدة من الايمان خلال ذلك •

والغريب ان الشاعر عاد الى ذكر المعجزات ، وكأنه يستدرك ما نسيه منها ، فقد اثر عن الرسول انه شفى عين قتادة يوم اصيب في احد ، اذ وقعت عينه على وجنته ، فأتى الرسول وقال له : « ان لي امرأة احبها وأخشى أنها ان رأتني على هذه الحالة قذرتني وارتفع حبي من قلبها » فأخذ النبي عينه بيده ، وردها الى موضعها وقال : « اللهم اكسها جمالا » ، فكانت احسن عينيه •• هذه قصة واحدة نكتفي بالاشارة اليها دون غيرها من القصص في معجزة الشفاء ، اما في الشطر الثاني (وأطلقت اربا من ربقة اللمم) فهو يرمز الى قصة المرأة التي أتت النبي بابن لها أصابه مس من الجنون ، فمسح بيده المباركة صدره ، فشفاه ، ولعل هذه القصة الوحيدة التي أشار اليها الشاعر ، وكنا نود لو فصل الشاعر في بعض هذه القصص ذات الموضوع الشعري كما هو الحال في قصة قتادة وامرأته الجميلة التي كان يحبها ، فانها قد تعطي قصيدته جمالا شعريا ينسجم والموضوع الذي اخذ نفسه به ، ولا سيما انه العليل السقيم •

لم يكتف بكل هذه المعجزات ، وانما انتقل ليحدثنا في البيتين الاخرين من هذا القسم عن قصة الاعرابي حين دخل المسجد يوم الجمعة، والرسول قائم يخطب فناداه : « يا رسول الله هلكت الاموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغثنا » • والقصة مشهورة فما كاد الرسول يفرغ من دعائه حتى أغيث الناس واستمر المطر حتى الجمعة الاخرى حين طلبوا منه ان يدعو الله ليوقف عنهم توالي المطر بعد ان هلكت الاموال وانقطعت السبل •

هذه قصة المعجزات في هذا القسم أوردها الشاعر على مرحلتين وقد فصل بينهما ليترك وحيه الشعري يبارك وحي السماء ويعرب من خلالها عن عواطفه نحو صاحب المعجزات •

كان الشاعر كما رأينا منفعلا اشد الانفعال في ذكره المعجزات

ولعلنا لاحظنا هذه الواحة النفسية من المناجاة الروحية ، فقد توقف قليلا عن سرد المعجزات ليلتمس من لدنه غنى الدارين ، ويستلم الندى من خير مستلم ، ثم ليدحض اقوال الفلاسفة في انكار رؤية الوحي في النوم ، وينهي وقوفه في هذه الواحة النفسية ليعود الى ذكر ما يحلو له من قصة المعجزات ، وخاصة معجزات الشفاء ، ولعل هذا البيت :

كم ابرأت وصبا باللمس راحته وأطلقت أربا من ربقة اللمم

هو اذاً بيت القصيد في البردة ، لكنه أوجز حين وجب عليه أن يطنب أو يوغل في ذكرها ولا سيما أن القصص الدينية التي تدور حول هذا الموضوع كثيرة جدا ، وقد اقتصرنا منها على ما يلائم الموضوع الذي نحن بصدده .

كان للقصص الدينية أثر كبير في بردة البوصيري أسلوبا ومعنى ، ولكن الاثر الاكبر يرجع الى قصة الشاعر نفسه ، قصة الحياة التي تصدعت حينما أثقل الداء نهضته ، انها حقا مأساة البوصيري التي تجسدت من خلال هذا العرض الشعري في بيت واحد للمعجزات الكبرى التي أوردناها كما هي لندرك ما رمز اليه في كلمات معدودات انتظمت في شطرين اثنين .

القسم السادس

وقف الشاعر عند معجزة القرآن ، ولعل حديثه الفائت عن قصة الوحي حتم عليه الوقوف في هذا القسم من البردة ، فلقد تخيل الشاعر وهو يعدد المعجزات او يشير اليها من طرف قريب او بعيد ان العدو المعاند والعاصي الجاحد طلب منه ان يكف عن الاستمرار في ذكر هذه المعجزات التي أثرت عن الرسول والتي لا يسلم بها ، فأجابه الشاعر مخاطبا : دعني أعدد هذه المعجزات التي أثرت عن الرسول والتي ظهرت كأنها نيران القرى التي أوقدت على قمة جبل شامخ . انها تتلألأ كالدرر، ويزداد ظهورها بذكرها ، وتزداد حسنا اذا نظمت ، ولن ينقص قدرها

اذ لم تنظم فهي الدر الثمين سواء كان منظوما في سمطه ام كان غير منظـوم .

ينتقل الشاعر بعد ذلك ليقول : ان نظّام المدائح النبوية عاجزون كل العجز عن الاحاطة بأوصاف الرسول بما فطر عليه من فضائل الشيم ومكارم الاخلاق .

يقف الشاعر وقفة طويلة في حديثه عن الآيات القرآنية ، فيتحدث عنها حديث العقل والمنطق ، ويذكر أنهـا قديمة المعاني ، اذ انها صفـة الموصوف بالقدم لكنها محدثة النزول على الرسول :

آيات حق من الرحمن محدثة　　　قديمة صفة الموصوف بالقدم

وفي هذا البيت اشارة الى قوله تعالى : « ما يأتيهم مـن ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون (١) » هذه اذاً آيات أزلية ، فلا غرابة ان رأيناها تشتمل على الاخبار عن قصة المعاد يوم النشور ، والله تعالى يقول : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده (٢) » وعن عـاد قوم هود ، وعن ارم ذات العماد ، وهي عـاد أخرى ، وهي التـي لم يخلق مثلها في البلاد .

يعـود الشاعر ثانيـة ليفضل الرسول في معرض ذكره الآيـات القرآنية ، وينتهي من ذلك كلـه ليؤكد أن معجزات الانبياء السابقين طواها الزمن وأبلى جدتها الدهر ، واما المعجزة القرآنية فباقية ابدا ، لن تحول ولن تزول . اما سبب خلودها فذلك لان الله أنزلها آيات محكمات النسخ متقنات النظم فصاحة وبلاغة ، ولن يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها او يقوموا بمعارضتها . قال تعالى : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » .

انها النور الذي يبدد كل شك ، وتزيل كل شبهة يصورها صاحب خلاف ، وهي لا تطلب حكما يحكم على مخالف الحق لظهور براهينها ، فهي اذاً تدحض كل شك وشبهة وباطل . ولا بد للشاعر في هذا المكان

---

(١) سورة الانبياء ٢/٢١ .
(٢) سورة الروم ٢٧/٣٠ .

من بردته من التحدث عن المعارضين الذين تصدوا لمعارضة القرآن أمثال مسيلمة الكذاب ، والاسود العنسي ، وطليحة الاسدي ، وسجاح التميمية والمتنبي وغيرهم • ثم قال ما عارضها معارض منهم الا افتضح امره واضحى خاسرا • قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله » (١) ، ولعل الشاعر يشير من طرف خفي الى ابن الراوندي • وكان قد بسط لسانه في مناقضة الشريعة ومناقشة معجزة القرآن في كتاب (الفريد) قائلا : « ان المسلمين احتجوا لنبوة نبيّهم بالقرآن الذي تحدى به النبي، فلم تقدر العرب على معارضته فيقال لهم : أخبرونا لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم في القرآن فقال : الدليل على صدق بطنيموس او اقليدس ان اقليدس ادعى أن الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه ، أكانت نبوته تثبت ؟ » (٢) •

لقد وجد الشاعر المناسبة الملائمة فاهتبلها ليطلق صوت عقله ، ويناقش القول في اعجاز القرآن الذي جعل ألد اعدائه يلقي اليه السلم •

ما حوربت قط الا عاد من حرب   أعدى الاعادي اليها ملقي السلم

انها البلاغة العربية في القرآن المحكم ، وهو المعجزة الباقية بما فيها من المعاني الكثيرة كأنها موج البحر مددا ، تحتوي على الدرر الثمينة من ابكار المعاني ، لكن درر القرآن تفوقها بهاء وحسنا ، فهي برد وسلام على كل قلب مرتل لها ، تطمئن النفس لدى ترتيلها ، وتسكن العين بسببها بيد ان الشاعر يلتفت من اسلوب الغائب الى المتكلم ليقول : أيها الانسان لقد فزت بما يوصلك الى الله فامتنع ببركة قرآنه من عذاب النار ، وانك ان تقرأ هذه الآيات خوفا من عذاب الله او من نار لظى تطفىء عنك هذه التلاوة حرها ، وتبدد من نفسك كل خوف ، فورودها شبم بارد وعذب فرات •

تابع الشاعر هذا المعنى تشبيها وتمثيلا ذاكرا أن هذه الآيات تشبه

---

(١) سورة الانبياء ٢/٢١ •

(٢) احمد بن يحيى المتوفي سنة ٢٩٣ هـ تقريبا •

في تبييضها وجوه القارئين المرتلين حوض الكوثر في تبييض وجوه العصاة الضالين يوم الشفاعة الكبرى ، ولا ينسى الشاعر ان يقول انهم جاؤوه في هذه اللحظة ووجوههم شوهاء مربدة كأنها الفحم الاسود .

كأنها الحوض تبيض الوجوه به   من العصاة وقد جاؤوه كالحمم

ويعود ثانية في هذا القسم لما بدأه في البيت الحادي عشر قبل هذا البيت ويخبرنا أن هذه الآيات ، الايات القديمة المحدثة ، والمنزلة من الرحمن ، صفة الموصوف بالقدم هي كالصراط المستقيم في الاستقامة والدقة ، وكالميزان الدقيق في العدل المستديم ، وهي وحدها التي حفظت الاستقامة والعدل دون غيرها من الكتب والشرائع ، فلقد كان القرآن ختامها ونسخت جميعا بالقرآن المعجزة .

خيل للشاعر وهو يصف الآيات هذا الوصف ان شخصا عارضه متعجبا ، وأنكر عليه ما ذهب اليه ،وقال : اذا كانت الآيات في المنزلة التي وصفتها فكيف ينكرها كثير من المعارضين ومن الحساد . ويبتدر البوصيري هذا المعارض المتخيل فيخاطبه : لا تعجبن ايها الشاعر المؤمن ان أنكر هذه الآيات منكر حاسد وظلوم جاحد حمله حقده وحسده على انكارها جهلا او تجاهلا ، وهو في حقيقة امره يدرك كنه عظمتها وسر اعجازها ، ولكنه كان كمن في فمه مرض ، فلا يتذوق حتى الماء الزلال ، وانما يجده مرا علقما ،وكمن في عينيه سقم او عليهما غشاوة فلا يبصر ضوء الشمس المشرقة ، وانما يعشي الظلام ناظريه .

هكذا وقف البوصيري موقف الذائد عن حمى القرآن ، ينافح عنه بلسانه وبيانه ويناقش خصومه بصوت العقل وحجة المنطق احيانا ، وباختلاج العواطف والمشاعر حينا آخر فاجتمع له معا العقل والشعور في هذا القسم من البردة ، بيد أن سلطان العقل كان اظهر واقوى كما اتضح لنا في هذا النقاش الشعري الذي حاول الشاعر من خلاله ان يقنعنا ويبدد سحب الشك من نفوسنا . كان خلال هذه التجربة العقلية، يحاول ان يستجيب لانفعاله العاطفي فيتغلب عليه في بعض الاحيان .

لقد استطعنا من خلال الصراع بين العقل والعاطفة في هذا الحوار

أن ندرك ذاتية الشاعر وعقله في حديثه عن معجزة القرآن :

دامت لدينا ففاقت كل معجزة   من النبيين اذ جاءت ولم تدم

يقول الدكتور زكي مبارك : « وهذا اجمل ما يوصف به القرآن، فهو المعجزة الباقية وهو ايضا المعجزة الصريحة التـي يعتز بها العقل ، ويصح للمسلمين أن يواجهوا بها العالم غير مترددين • اما نبع الماء بين يدي الرسول ، وتظليل الغمام اياه وسجود الشجر له ، وما الى ذلك من المعجزات ، فهي مسائل يحتاج عرضها الى مخاطرة وهي مخشية الضر قبل أن تكون مرجوة النفع » •

القسم السابع

تابع البوصيري ملحمته النبوية ، فتحدث عن الاسراء والمعراج ، ولعلنا لاحظنا في هذا القسم أن الشاعر لما مدحه من قبل كان هذا المدح اخباريا على وجه الغيبة ، واقبل الان عليه بالخطاب ، فهو خير من يمم العافون ساحته ، وهو الآية الكبرى لكل معتبر ، وهو النعمـة العظمى لكل مغتنم ، ويستطرد بعد ذلك ليصف لنا اسراءه فيشبهه باسراء القمر في الظلمات حتى بلغ من السماء قاب قوسين او ادنى ، ثم تابع رحلته ، فذكر كيف قدمه الرسل والانبياء ، وكيف اخترق سبع سموات طباقا ، فحاز خلال ذلك كل عز وفخار ، فهو أكرم الرسل ، وأمته خير الامم •

ولا بد لي هنا من الاشارة الى ظهور قصة الاسراء والمعراج في هذا القسم من البردة ولا سيما في قوله :

وبت ترقى الى أن نلت منزلـة   من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

والمعروف لدينا أن هذه القصة ذكرهـا الله تعالى بقوله : « ثم دنا فتدلى ❋ فكان قاب قوسين او ادنى ❋ فأوحى الى عبده ما اوحى ❋ ما كذب الفؤاد ما رأى ❋ أفتمارونه على ما يرى ❋ ولقد رآه نزلة أخرى ❋ عند سدرة المنتهى ❋ عندها جنة المأوى ❋ اذ يغشى السدرة ما يغشى ❋ مـا زاغ البصر وما طغى ❋ لقد رأى مـن آيات ربـه

الكبرى » (١) •

هكذا تضافر الاثر الديني في البردة بعامليه ، سواء أكان ذلك من القرآن أم من قصص الاسراء والمعراج ، ان الشاعر يستخدم ثقافته الدينية ثقافة كل انسان في هذا العصر ، ويختار منها في هذا النص ما ينسجم والموضوع الذي ينظم فيه •

القسم الثامن

ينتقل الشاعر بعد قصة الاسراء والمعراج الى صفحة مشرقة من حياة الرسول الممدوح ، فيصف لنا البعثة التي افزعت قلوب عباد الاوثان ، وفرقت شملهم ، كما أفزعت زأرة الاسد الهصور قلوب هذه البهائم الهاجعة • انها حقا صورة شعرية اعطاها التشبيه التمثيلي مداها المسرحي الواسع ، ولكنها انقطعت فجأة عند الشاعر ليحدثنا عن جهاد الرسول وغزواته الكبرى •

كان حديثه في مستهل هذا القسم حديثا عاما ، فوصف الصراع الابدي بين الايمان والكفر وصور لنا شجاعته وبطولته حتى نراه يقول في وصف حال الاعداء :

تمضي الليالي ولا يدرون عدتها ... ما لم تكن من ليالي الاشهر الحرم

أطال الشاعر الوقوف عند هذه الملاحم النبوية ، وصور ابطال المسلمين ، فهم الجبال المتحركة فكل منهم كان كما وصفه :

يجر بحر خميس فوق سابحة ... يرمي بموج من الابطال ملتطم

ذلك كله كان أهم عامل في نصرة الدين الجديد •

لم يقتصر الشاعر على هذا الوصف العام للملاحم النبوية ، وانما أورد ذكر بعض غزواته في حنين وبدر وأحد ، وكان يحاول ان يبرز لنا بعض المفارقات في وصف الفريقين ، ولكنه كان يخفف من توقد العاطفة هنا ليرتفع الى آفاق العقل وسماء الحكمة ، فيقرر أن هذه الانتصارات هي بعون الله وتأييده :

---

(١) سورة النجم ٥٣/٨ ـ ١٧ .

ومن تكـن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في آجامها تجـم

كان هذا صوت الشاعر الحكيم ، حتى اذا بلغ المنتهى في وصف الرسول عاد ليذكرنا ان هذا الممدوح العظيم هو اليتيم الامي الذي آتاه الله من لدنه علما فعلمه هو المعجزة الكبرى ، لانـه لم ينل مـن علوم الجاهلية شيئا ، وانما أدبه ربه فأحسن تأديبه .

القسم التاسع

لاحظنا مما تقدم معنا من اقسام البردة الثمانية أن الشاعر اقتصر فيها على وصف الرسول ومدحه من خـلال ذاته ، حتى اذا انتهى مـن عرض ذلك بدأ يتحدث عن نفسه ، ولكنه لم يهمل الحديث عنها من قبل في مواضع يسيرة ، فقال :

انني أمدحه بشعري لكي أطلب من الله ان يقيلني بـه من أوزار عمر قضاه في نظم الشعر والتقرب بـه الى ذوي السلطان ، ولا ينسى خلال ذلك ان يذكر ضلاله في أيام صباه ، ولم يبق له منها غير بقايا الاثم وحسرات الندم . ولما وصل الشاعر الى هذا الموقف ، اخذه العجب ، وشرع يبكت نفسه الآثمة ، وكان يجري في هذا الاسلوب على طريقـة العرب ، فهم اذا استعظموا شيئا وتعجبوا منه نادوه وخاطبوه فلنستمع الى هذا المنادي الذي وقف متعجبا :

فيا خسارة نفس في تجارتهـا لم تشتر الدين بالدنيـا ولم تسم

هذا موقف الخاسر المذنب الذي أوقره ذنبه ، ولكن امل الشفاء يدغدغ احلامه . ويا ويله ان جرت رياحه بما لا تشتهي سفنه ، فلم يحظ بها ، وحينئذ يضل عن الصراط المستقيم ، فقل حينئذ : (يا زلة القدم) .

أبرز ما نلاحظه في أواخر هـذا القسم شدة الصراع النفسي عند الشاعر ، يتنازعـه فيـه الماضي والحاضر والمستقبل ، فهو يقر بذنوب ماضيه الذي مضى مـن عمر الزمن ، ولكنـه ينتظر أمل المستقبل ومن خلالهما كـان الشاعر يضطرب بـين النشاط والتفاؤل ، ولكنـه يشعر بالاطمئنان النفسي آخر المطاف :

ومنذ ألزمتُ أفكاري مدائحه وجدته لخلاصي خيرَ ملتزم

ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ان الحيا ينبت الازهار في الاكم

ولم أُرد زهرةَ الدنيا التي اقتطفت يدا زهير بما أثنى على هرِم

كان الشاعر يخشى أن يتهم بأنه كان ينتظر من مدحه الرسول حطام الدنيا ، فأراد دفع هذا التوهم ، ذاكرا في البيت الاخير أنه على الرغم من فقره وشدة حاجته لا يريد شيئا من الدنيا وزهرتها .

ويعود الشاعر ادراجه الى الجاهلية ليأخذ العبرة والمثل ، فيتخذ من حكيم الشعراء زهير وممدوحه عظة وفيرة ، انه لا يريد ان ينال منها ما نال زهير من مدح هرم بن سنان فلقد مدحه حكيم الجاهلية رغبة وأراد منه الدنيا وزهرتها ، ولا بأس أن تتذكر هنا قسم هرم المأثور أنه كلما مدحه او حياه اعطاه عبدا او امة حتى استحيا الشاعر من كثرة العطاء ، فكان اذا رآه قال : انعموا صباحا غير هرم .

اختار الشاعر هذه القصة المأثورة عن الجاهلية وشعرائها ، وهي في الواقع بينة الدلالة على وصف أمل الشاعر في الشفاعة ويأسه منها ، وهو على الرغم من تأكيده انه لا يريد بمدحه زهرة الدنيا كما ارادها زهير ، يقرر انه اراد الآخرة وأحبها فهي خير له وابقى .

القسم العاشر

ولعل هذه النبضات من اليأس ارجعته ثانية الى هذه المناجاة الرقيقة ليؤكد عرض حاجاته ، فيعود لمخاطبة الرسول قائلا :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ويعود ليخاطب نفسه قائلا :

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت ان الكبائر في الغفران كاللمم

ويعود ليخاطب ربه قائلا :

يا رب واجعل رجائي غير منعكس لديك واجعل حسابي غير منخرم

هذه نداءات ثلاثة في القسم الاخير من البردة ، نداء خص به

الرسول الشفيع ، ونداء خص به النفس الآثمة ، ونداء خص بـه الله الذي هو ملاذه الاخير . هذه النداءات الثلاثـة لله والرسول والنفس تجمع الدنيا والآخرة وتتغلغل في باطن الشاعر لنقرأ قصة النفس البشرية في الصراع هو قصة البردة بكاملها ، فالشاعر يجهد ليصل النفس بالله ، ولكنه يجدها موقرة بذنوبها ، فلا بد له اذا من وساطة تصله بالموصول الرباني ، فلعله يشفى من مرضه ، ولعله يبرأ من علته .

مذهب الشاعر الفني

١

هيكل القصيدة

لا بد لنا من دراسة هيكل القصيدة بشكل عام قبل دراسة اسلوبه بما فيه من ألفاظ وتراكيب وصور بلاغية .

لم يكن الشاعر نسيج وحده في اختيار هيكل القصيدة ، فقد تبين لنا ان الشاعر اعتمد في ذلك على شاعر صوفي كبير عاش في مصر وهو ابن الفارض (المتوفى سنة ٦٣٢ هـ) .

اختار الشاعر اسلوب ابن الفارض في احدى قصائده ، وقد وقف الدكتور زكي مبارك عند هذه النقطة ، وبيّن مدى التأثر بين الشاعرين، فقال :

« وأغلب الظن عندي أن البوصيري استأنس عند نظمها بميمية ابن الفارض :

هل نارُ ليلى بدت ليلا بذي سلم ... أم بارق لاح في الزوراء فالعلم

ارواحَ نَعمانَ هلاّ نسمة سحرا ... وماء وجرة هلا نهلة بفم

ومطلع قصيدة البوصيري :

أمن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة ... وأومض البرق في الظلماء من اضم

فذو سلم ، وهبوب الريح ، وايماض البرق ، مما اشترك فيه الشاعران مع وحدة الوزن والقافية . يضاف الى هذا أن ابن الفارض قال :

يا لائما لامني في حبهم سفها ... كف الملام فلو أحببت لم تلم

فتابعه البوصيري فقال :

يا لائمي في الهوى العذري معذرة — مني اليك ولو انصفت لم تلم

كما تابع شوقي البوصيري حين قال :

يا لائمي في هـواه والهوى قدر — لو مسك الشوق لم تعذل ولم تلم

وقال ابن الفارض :

طوعا لقاض أتى في حكمـه عجبا — أفتى بسفك دمي في الحل والحرم
أصم لم يسمع الشكوى وأبكم لم — يحر جوابا وعن حال المشوق عمي

فدار البوصيري حول هذا المعنى اذ قال :

عدتـك حـالي لا سري بمستتر — عن الوشاة ولا دائي بمنحسم
محضتني النصح لكن لست أسمعه — ان المحب عن العذال في صمم(١)

نخلص مما تقدم معنا من قول الى أن الشاعر البوصيري كان متأثرا بابن الفارض ، وقد ظهر هذا التأثر في ناحيتين :

أولاهما في بعض المعاني الصوفية ، وقد أشرنا الى بعضها من قبل.

والثانية في هيكل القصيدة بشكل عام ، فقد أخذ الوزن فكان من البحر البسيط وأخذ الروي فكان حرف الميم المجرورة .

يضاف إلى ذلك كله أنـه استمد كثيرا مـن الالفاظ والتراكيب والصور وسوف نقف عندها لكي نوضح خصائصها .

---

(١) المدائح النبوية في الادب العربي ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢)

الالفاظ والتراكيب

عرضنا أفكار النص ومعانيه عرضا مفصلا ، وتحدثنا من خلاله عن كثير من حقائقه وخصائصه واوضحنا افكاره وروابطها بالحياة والشاعر، ويبقى علينا الان ان نعرض اسلوب البوصيري ، فنوضح ألفاظه وتراكيبه وموسيقاه ، ونجلي صوره وأخيلته ، وننتهي من ذلك كله لنبين طرائقه في التعبير ومذهبه في وصف تجربته الشعورية •

لعل أول ما يسترعي انتباهنا في دراسة النص بعده عن الالفاظ الغريبة والمعروف لدينا ان العرب اهتموا بقدسية الحرف وجمال الكلمة وشرف التعبير وبلاغة التركيب واشترطوا في اللفظ ان يكون شريفا عذبا ، وفخما سهلا ، وكرهوا ان يكون وحشيا بدويا ومبتذلا سوقيا اي يشوبه شيء من كلام العامة وألفاظ الحشوية (١) ، وكانوا يرون ان اجود الشعر عندهم السهل الممتنع • لو قوّمنا ألفاظ الشاعر وتراكيبه بالميزان النقدي العربي الذي ذكره ابو هلال لوجدنا ان البوصيري على الرغم من تكلف الصور البديعية كان يجمع في اسلوبه الشرائط التي يشترطها العرب في جمال اللفظ والاسلوب •

أما تراكيبه فقد رأيناه يعتمد فيها على الاساليب العربية الاصيلة ، ويقتبس كثيرا من تراكيبهم ومعانيهم كما اوضحنا ذلك من قبل ، وقد رأيناه كيف استمد من البحتري وابن الفارض وغيرهما المعاني المأثورة • كما نراه يقتبس بعض التراكيب الواردة في الكتب الدينية من القرآن والحديث وقصص السيرة والاسراء والمعراج •

اما اثر القرآن فظاهر في مثل قوله :

قرت بها عين قاريها فقلت له : لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

---

(١) العسكري : الصناعتين ص ٤٨ .

وهذا يذكرنا بقولـه تعالى : « واعتصموا بحبـل الله جميعا ولا تفرقـوا » (٢) وقوله « ومن يعتصـم بالله فقـد هُدي الـى صراط مستقيم » (٣) •

وقولـه :

وبت ترقى الى أن نلت منزلـة   من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وهذا يذكرنا بقوله تعالى « ثـم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى ••• » (٤) واما اثر الحديث فظاهر في قوله ايضا :

يا رب واجعل رجائي غير منعكس   لديك واجعل حسابي غير منخرم

وهـذا المعنى يشير مـن بعض جوانبه الى ما ورد فـي الحديث الشريف حكاية عن الله تعالى : « انا عنـد حسن ظن عبدي بي ان خيرا فخير وان شرا فشر » •

وقولـه :

ان تتلها خيفة من حر نـار لظى   اطفأت حر لظى من وردها الشبم

وهـذا المعنى يشير الـى الحديث الذي أورده مسلم : « اقرؤوا القرآن فانه يأتي يـوم القيامـة شفيعا لاصحابه » • واما اثر القصص الدينية فظاهر ايضا في مثل قوله :

جاءت لدعوته الاشجار سـاجدة   تمشي اليه علـى ساق بلا قدم

فلقد وضح لنا أثر السيرة النبوية ، وأرانا كيف استمد المعـاني وحتى النص في مثل قوله « على ساق بـلا قدم » ، وهو نفسه الوارد في القصص الدينية •

ان الشاعر يعبر عن ثقافته كلها في قصيدته ، فلقد انعكست ثقافة العصر في معظمها في هذا النص الذي بين ايدينا •

---

(٢) سورة آل عمران ١٠٣/٣ •
(٣) سورة آل عمران ١٠١/٣ •
(٤) سورة النجم ٥٣/٨ ـ ١٧/ •

تتجاوز الألفاظ والتراكيب لتقف عند وزن القصيدة وقافيتها ، فالشاعر قد اختار وزن البسيط التام المخبون ، والمعروف ان هذا البحر احد ابحر ثلاثة كثر دورانها على ألسنة الشعراء في مختلف العصور وهي الطويل والبسيط والكامل واختار روي الميم المكسورة ، وقد ساعده الوزن والروي على اطالة نفسه في القصيدة المذكورة ، فبلغت واحدا وستين ومائة بيت ، ولا بد لنا هنا من ان نذكر ان الوزن والروي الميمي وحركته المكسورة كان له اثره عند شعراء البديعيات النبوية فحافظوا على ما اختاره الشاعر ، وقد عورضت هذه القصيدة ، وحافظ المعارضون ايضا على الوزن والروي كالعاملي والد صاحب الكشكول ، ومحمود سامي البارودي واحمد شوقي وغيرهم •

هذا ما يتعلق بهيكل القصيدة لفظا وتركيبا ووزنا ورويا ، يضاف الى ذلك ظهور الجرس الموسيقي الشعري في النص ، فطبيعة هذا الوزن اولا ، وائتلاف الالفاظ والتراكيب ثانيا واشباع الروي المكسور في القافية ثالثا ، ذلك كله ساعد على هذه التموجات الموسيقية التي تشتد حينا وتلين حينا آخر بين اسلوب خبري هادىء واسلوب طلبي منفعل ، وكنا عرضنا هذا التباين في الموسيقى الشعرية خلال تحليل النص •

الوجوه البلاغية

تصنّع الشاعر كما قلنا بعض الصور البيانية والبديعية ، فقد ظهرت بشكل عام في قصائده •

الصور البيانية :

لاحظنا ان الصور البيانية ظاهرة ، ولكنها كانت أقرب الى الطبع والعفوية من الصور البديعية ، وهي مطبوعة بطابع تقليدي معروف ، فمن ذلك قوله :

(كموج البحر في مدد) (كأنها الحوض) و (ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم) و (جاؤوه كالحمم) و (كالصراط وكالميزان معدلة) و (بحر خميس فوق سابحة) •••

ولم يقتصر على هذه التشابيه المعروفة التي رأينا وجه الشبه فيها

منتزعا من واحد وانما نجد بعض التشبيهات التي ظهر فيها التشخيص والتمثيل ، فمن ذلك قوله :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وقولـه :

ردت بلاغتهـا دعوى معارضهـا رد الغيور يد الجاني عن الحرم

وقولـه :

راعت قلوب العـدا انباء بعثتـه كنبأة اجفلت غفلا مـن الغنم

ما زال يلقـاهم فـي كـل معترك حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

يضاف الى ذلك وجود الاستعارات المختلفـة فهي معروفة لدينا ، ونكتفي بالوقوف عند بعضها كما في قوله : (فما تطاول آمال المديح) فقد شبه الآمال بذي عنق يتطاول ، وطوى لفظ المشبه به ، ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو التطاول فهي استعارة تخييلية بالكناية .

وقوله : (لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم) ففيه اولا اقتباس قرآني، وفيه استعارة تصريحية مرشحة ، فقد شبه القرآن بحبل ، واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر الاعتصام ترشيح له لانه يناسب المستعار منه ، وهو مثل قوله : (فاستمسك بالعروة الوثقى) .

وقوله : (من وردها الشبم) فيه استعارة مكنية ، فقد شبه الآيات بالماء وطوى لفظ المشبه به ، ورمز اليه بشيء مـن لوازمه وهو الورد ، وذكره الشبم ترشيح للاستعارة .

وقولـه :

والنار خامدة الانفاس من أسف عليه والنهر ساهي العين من سدم

فيه استعارتان بالكناية في حديثه عن النار الخامدة والنهر الساهي، فقد ذكر المشبهين وهما النار والنهر ، وفي البيت حسن التعليل ، فاثبات الاسف للنار ، والسلام للنهر مجاز عقلي لتنزل كل منهما منزلة العاقل .

وقولـه :

والكاتبين بسمر الخط مـا تركت اقلامهم حرف جسم غير منعجم

فقد شبه الطعن بالكتابة بجامع التأثير في كل واستعار الكتابة للطعن ، واشتق من الكتابة بمعنى الطعن الكاتبين بمعنى الطاعنين على طريق الاستعارة التصريحية التبعية •

الصور البديعية :

هذه شواهد من الصور البيانية ، لكن الصور البديعية كانت أهم واشمل من سابقتها فنحن في عصر البديع والشاعر الذي لا يجمع في شعره المبتكر من الصور البديعية يعد مقصرا عن أقرانه في حلبة السباق، ولعلنا لاحظنا خلال الدراسة كثرة الطباق والجناس وغيرها من الفنون البلاغية •

فمن الطباق قوله :

المصدري البيض حمرا بعد ما وردت　　　من العدا كل مسود من اللمم

فالطباق بين (المصدرين) و (وردت) ، وقد جمع بالاضافة الى ذلك البياض والحمرة والسواد وهو من مراعاة النظير في علم المعاني •

وقولـه :

خفضت كـل مقـام بالاضافة اذ　　　نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

ففي البيت طباق ، وفيه الجمع بين الخفض والاضافة والرفع والمفرد العلم وهو جمع حسن من باب مراعاة النظير في علم المعاني ايضا •

ومن الطباق قوله (مبتدا ومختتم)

اما الجناس فكان اهم الوجوه البديعية التـي اكثر الشاعر مـن استخدامها ولم يصنعها الشاعر الا لان العصر كان يحتم عليه ذلك ، والا عد مقصرا عن اقرانه ، ولذلـك رأينا الجناس علـى اختلافه موجودا في قصيدته •

فمن الجناس الشبيه بالمشتق قوله :

(اتهمت والتهـم) و (لم ترق وأرقت) و (العذري ومعـذرة) و (السائمة وتسم) و (انباء ونبأة) و (فرقا وتفرق) و (اكمام وكمي) و (جدلت وجدل) و (خصم وخصم) •

ومن الجناس المحرّف :

(يصم ويصم) و (يُبقين ويَبغين) و (قرم وقرم) و (الحزم والحزم) و (شدة وشدة) .

ومن الجناس المقلوب :

(التمست واستسلمت) .

ومن الجناس الناقص :

(سيب وسل) و (المعاد وعاد) و (فحزت وجزت) و (وليت وأوليت) .

يضاف الى الطباق والجناس ضرب آخر من البديع كثر في شعره وهو التصدير او رد الاعجاز على الصدور ، وقد تكرر بصورة المختلفة، فمن ذلك قوله :

وقولـه :

إني اتهمت نصح الشيب في عذل — والشيب أبعد فينصح عن التهم

محكّمات فما يبقين من شبه — لذي شقاق وما يبغين من حكم

وقولـه :

فالصدق فيالنار والصدّيق لميرما — وهم يقولون ما بالنار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على — خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقولـه :

ولا تطمع منهما خصما ولا حكما — فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وقولـه :

آيات حق من الرحمن محدثة — قديمة صفة الموصوف بالقدم

وقولـه :

وراعها وهي في الاعمال سائمة — وانهي استحلتالمرعى فلاتسم

يضاف الى التصدير الطي والنشر ، على الترتيب او على غير

الترتيب ، اما الشاعر فقد سلك القسم الثاني كما في قوله :

عموا وصمّوا فاعلان البشائر لم تسمع وبارقة الانذار لم تشم

وقولـه :

وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى مثل البهار على خديك والعنم

وقولـه :

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البريـة لم تنسج ولم تحم

ومن الوجوه البديعية اللفظية المستخدمـة الموازنة او التوازن ، وهو أن تتساوى الفاصلتان من القرينين في الوزن دون التقفيـة ، فمن ذلك قول البوصيري :

ومن هو الآيـة الكبـرى لمعتبر ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

ومن التوازن مع التكرار قوله :

ولن ترى مـن ولي غـير منتصر به ولا مـن عدو غير منقصم

وقولـه :

يا رب واجعل رجائي غير منعكس لديك واجعل حسابي غير منخرم

نقف اخيرا عند الاستتباع وهو المعروف بالاستطراد ، وهو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ، لم يقصد بذكر الاول التوصل الى ذكر الثاني ، وقد ظهر في قوله :

نبذا بـه بعـد تسبيح ببطنهما نبذ المسبّح مـن احشاء ملتقم

فهو بعد ان تكلم عن انقضاض الشهب على الشياطين وشبههم في حال هربهم بابطال ابرهة او بالعسكر الذي رمي بالحصى مـن راحتي الرسول ، استتبع الشاعر الكلام على تسبيح الحصى بكفي الرسول •

نكتفي بهذه الصور البلاغية لنقرر ان الشاعر تصنع اهم الوجوه البديعية المعروفة في عصره ، وهذا التصنع هو داء العصر الذي استفحل بين الشعراء والكتاب على السواء •

الصور والاخيلة :

عرضنا الصور البلاغية في بعض اجزاء البردة ، وعرضنا للأخيلة التي صورها الشاعر في دراسة اقسامها العشرة بشكل مفصل ، ولكن لا بد لنا هنا ونحن نختتم هذه الدراسة من الاشارة الى أن المحدثين وقفوا عند البردة ، وأعجبوا بخيالها الشعري الوثاب ، وعدّوها ضربا من الملاحم الشعرية العربية ، وهذا القول الهام يحتم علينا أن نعرض العلاقة بين البردة والملحمة • فموضوع القصيدة وأسلوبها ومعانيها وطولها يحتم علينا المقارنة وهي في نظرنا امر هام يتطلب الدراسة والمقارنة •

أشار الاستاذ الفاضل عبدالله كنون في مقال له الى العلاقة بين الملحمة والبردة فقال :

« هذا فن من الشعر يكاد ادب الفقهاء يمتاز به ، فيدفع الوصمة عن الادب العربي التي يلصقها به كثير من النقاد حين يتحدثون عن خلوه من الملحمة أو من الشعر القصصي في الجملة » • واستطرد بعد ذلك في الحديث الى قصيدة البردة البوصيرية قائلا : « وهل تقاس معلقة عمرو بن كلثوم مثلا بقصيدة البردة ، وما اشتملت عليه من فنون القول كالنسيب الذي يرقق الطباع ، والحكمة المزكية للنفس ، والاعلان عن مولد صاحب الدعوة الاسلامية وما صاحبه من الآيات والعجائب ، ما صح منها ، وما يروى عن طريق الرؤى والتجليات ، لان المقام للخيال الشعري اكثر مما هو للتحقيق العلمي ، ثم ذكر جهاده بعد النبوة لاعلاء كلمة الله وما لاقاه من المشركين من مقاومة وأذى واستماتة المؤمنين به في نصرته وتأييده حتى علا الحق ، وانتصر دين التوحيد على خرافات الجاهلية ووثنيتها ، واندفع المارد العربي الى فتوحاته وتوطيد سيادته على العالم بالقوة والعلم والدين الجديد الذي كشف الران عن القلوب ، وفتح العيون على الحقيقة ، وهدى الناس الى الصراط المستقيم » •

كنت أطالع هذه المقالة حين قيامي بتحقيق شرح البردة البوصيرية ودراستها وقد لفت نظري ما جاء فيها من آراء جديدة حول المدائح النبوية وقصيدة البردة البوصيرية بشكل خاص وهذا الاتجاه الجديد

في تقويم الادب يدعم وجهة نظرنا ، ويؤكد ما نذهب اليه ، ويبدد الشكوك التي نسجت حول انعدام ادب الملاحم والسير من ادبنا العربي، وهذا يجعلنا بالتالي نغيركليا النظرةالتقليدية فيتقويم ادبهذا العصر(١).

ويبدو لي أن أهمية البردة كامنة في هذه النظرة التي وقف عندها الباحث المذكور ، وأظن ان الدكتور زكي مبارك كان قد اظهر اهمية القصيدة المذكورة ، ولكنه لم يرجعها الى هذه النظرة الملحمية ، وانما كان يرى أن « الاخلاص هو الذي مكن البوصيري من ناصية المجد الادبي ، وهو الذي رفعه الى منزلة الخلود » (٢) .

صحيح ما يقول الدكتور زكي مبارك ، ولكن خلود البوصيري لا يكمن في الاخلاص ، لان الاخلاص وحده لا يمكن الشاعر من ناصية المجد ولا يرفعه الى منزلة الخلود الادبي ، ولكن الشيء الذي يصح قوله هو ما وقع عليه الاستاذ كنون ، ولكنه لم يوفه حقه ، لانه قرن البردة بالملحمة ، وهذا رأي هام يتطلب الوقوف عنده لبيان العناصر الرئيسية التي تجعل البردة ملحمة ادبية كبرى في المدائح النبوية في تاريخ الادب العربي .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مقالة ادب الفقهاء للاستاذ عبد الله كنون المجلد ٤٢ ج ٤ ص ٦٧٨ .

(٢) الدكتور زكي مبارك : المدائح النبوية ص ٣٧ .

خطبة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي (١)

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى وآلائه التـي لا تستقصى ، والصلاة والسلام على عبده الذي أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، وخصه بكامل نعوت وعظيم اخلاق لا يجد المستغيث(٢) فيها عوجا ولا نقصا ، وعلى آله واصحابه الذين كانوا على اتباع الخير أشد الناس حرصا .

اما بعـد ، فهـذا شرح مختصر لطيف علـى القصيـدة المسماة بـ « البردة » في المديح النبوي الشريف ، يبين ألفاظها ، ويعين حفاظها ، ويفتح مقفلها ، ويوضح معضلها ، قدمته هديـة الفقراء الى حضرة أمير الملوك ، وملك الامراء ، ذي المفاخر العلية ، والمآثر السنية ، والأعراف الزكية ، والاخلاق الرضية والشيم الابيـة ، والنفس العصامية ، عين الوزراء العظـام ، ورأس الامراء الفخام ، اشد النـاس بأسا وأقواهم جأشا ، مولانا الوزير المعظـم المكرم إياس باشا (٣) ، أدام الله عـزه

---

(١) جاء في ديباجة هذه الرسالة في وجه اول ورقة منهـا تعريف الناسخ بالمؤلف والمؤلف « كتاب الزبدة في شرح القصيدة المسماة بالبردة لمولانا ، وسيدنا ، وشيخنا ، شيخ مشايخ الاسلام ، ملك العلماء الاعلام ، الشيخ بدر الدين ، محمد بن محمد بن محمد بن احمد القرشي ، العامري، الشهير بـ « ابن الغزي » الشافعي ، رحمه الله تعالى ، ورضي عنه بمنه وحوله » .

(٢) في الاصل : « المستغيث » ، ويلاحظ ان الناسخ ربما اخطأ في النقل ، والصواب « المتثبت » كما رجحه الدكتور عبد العزيز الاهواني .

(٣) الوزير اياس باشا ، هو الصدر الاعظم في عهد السلطان العثماني سليمان الاول ، وقد تولى الصدارة في رمضان سنة ٩٤٢ هـ ووافته منيته في ٢٦ صفر سنة ٩٤٦ هـ.

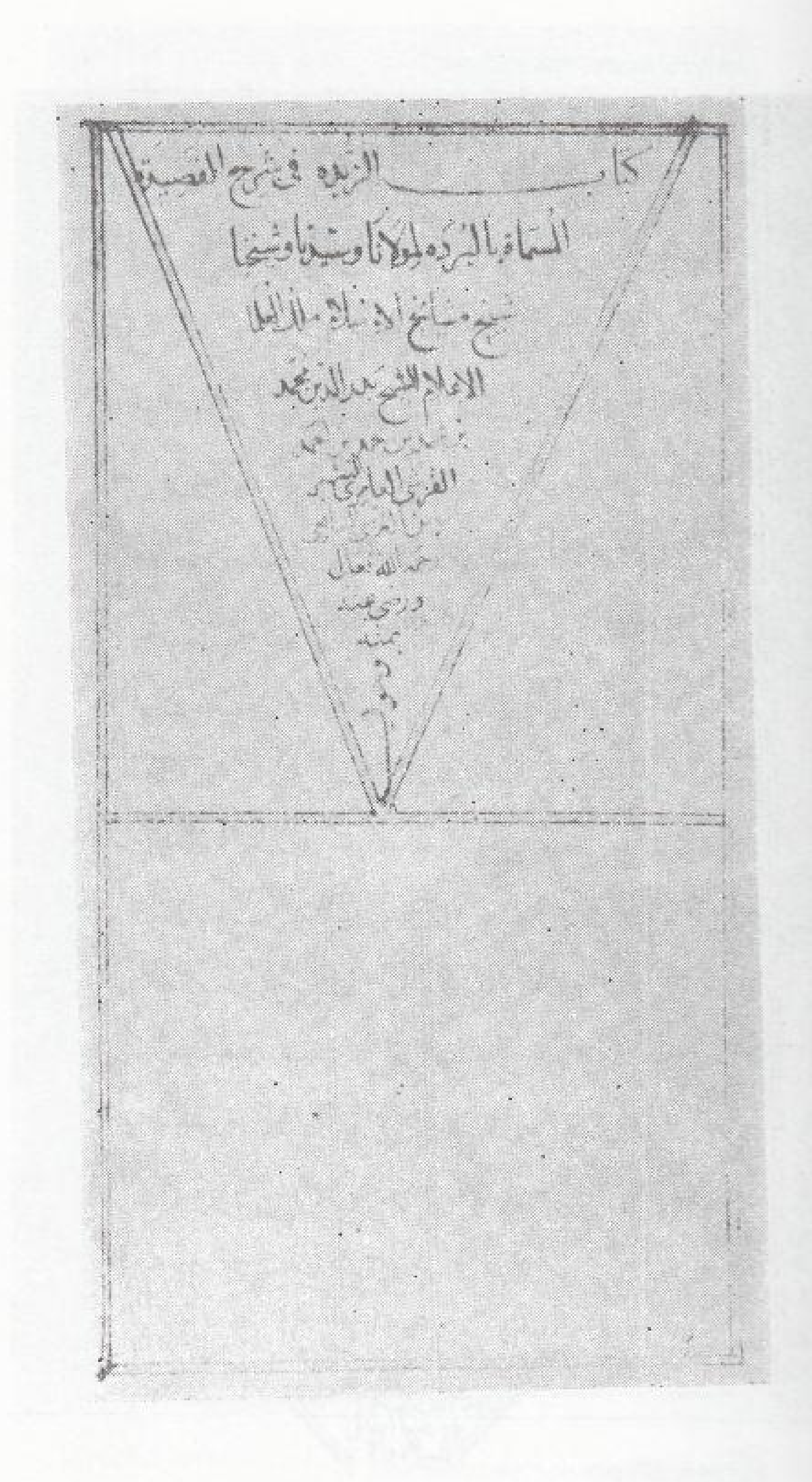
وسعده ، وحرس بعين عنايته مجدَه وجدّه ، حين شملتني منـــه عين العناية بالقبول ، وظفرت من مشاهدة جماله بغايـــة المأمول ، فانتعشت عند ذلك وطاب العيش ، وزال ما كنت أجد مـــن قلق البعد والطيش ، وقلت مفردا (١) :

أملك انت تُرى أم مَلك   قد فـاز بالمقصود من أمّلك

حرس الله ذاته الشريفة من كل سوء ببركة صاحب البردة ، وجعله من كيد الشيطان وجنوده من (٢) أمنع حصين وأوفر عـــدة ، ما وصل مطلوب لطالب (٣) ووصلت مخطوبة من بنات الفكر لخاطب (٤) .

---

(١) اي قلت بيتا مفردا ، ويسميه العروضيون يتيما .
(٢) كذا في الاصل والاقرب ان تكون (في) .
(٣) في الاصل : « لطالبة » وهذا من سهو الناسخ .
(٤) في الاصل : « خاطبها » وهذا من سهو الناسخ .


كتاب الزبدة في شرح القصيدة
المسماة بالبردة لمولانا وسيدنا وشيخنا
رحمه الله تعالى
ورضي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى وآلائه التي لا تستقصى والصلاة والسلام
على عبده الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وخصه
بكمال النعوت وعظيم أخلاق لا يجد المستريب فيها عوجاً ولا انتقاصا
وعلى آله وأصحابه الذين كانوا على اتباع الخير أشد حرصا أما بعد
فهذا شرح مختصر لطيف على القصيدة المسماة بالبردة في المديح النبوي
الشريف يبين ألفاظها ويعين حفاظها ويفتح مقفلها
ويوضح مفصلها قدمته هدية الفقرا إلى حضرة أمير الملوك
وملك الأمرا ذي المفاخر العلية والمآثر السنية والأعراق الزكية
والأخلاق الرضية والشيم الأبية والنفس العصامية عين الوزرا
العظام ورئيس الأمرا الفخام أشدهم بأسا وأقواهم جأشا مولانا الأكرم
المعظم المكرم آياس باشا أدام الله عزه وسعده وحرس من عاينه
مجده وجده حين شملتني منه عين العناية بالقبول وتفرست من
مشاهدة جماله بغاية المأمول فانتعشت عند ذلك وطاب
العيش وقل ما كنت أجد من قلق البعد والطيش [illegible]
[illegible] المقصود من [illegible]
حرس الله ذاته الشريفة من كل سوء ببركة صاحب البردة [illegible]

الاهوال اي تطلبه وهي الامور المخوفة يهزم ولا تبسط فيها لك مروا باللطف

بدفع المهالك وبل المطلوبة الرفق وفي خبر البخاري ان الله يحب الرفق في الامر

كله وادن اي امح ولخ لسحب صلاة منك دائمة على النبي صلى الله عليه وسلم

بمنهل اي بمطر شديد كثير ومنسجم اي مطر غير شديد وان كان كثيرا والسحب

باسكان الحا المهملة وضمها جمع سحاب وهو الغيم واللام للسحب للتعدية ومنك

ودائمة صفتان للصلاة وكان ينبغي ان ياتي بالسلام ليخرج من كراهة افراد

احدهما عن الاخر ولعله سلم لفظا ما رنحت بنون وحا مهملة اي ميلة

وما مصدرية ظرفية عذبات البان بذال معجمة اي اغصانه ريح صبا ص

شاة العلم الى الخامس وهي التي تاتي من المشرق صوب باب الكعبة وكانها

قصبوا اليا اي تميل واطرب العيس وهي من كرام الابل يخالط بياضها شقرة

والعيس اصلها بالضم وكسرت لسكون اليا بعدها وهي جمع اعيس حادي

العيس وهم اصحاب الابل السوق وفي نسخة حادي الركب بالنغم بفتح النون

او بالصوت الحسن وحادي فاعل اطرب من حدا يحدو واو هو سوق

الابل والغناء لها فتطرب والطرب خفة تعتري من سرور تقتضي الحركة و الترنم

والنشاط والحاصل انه شبه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي يطلب

عمومها في الاوقات بالسحب التي تعم الافاق وما ذكرنا ان الصلاة المذكورة

[illegible] والله سبحانه وتعالى اعلم

ووافق الفراغ من [illegible] هذا الكتاب [illegible]

يوم الاربعاء [illegible]

[illegible]

الشيطان وشبهه من اشنع حصين واوفر عدة ما وصل مطلوب

الطالبين وتوسلت بعلوية من بنات الفكر خاطبها وقد جرد الناظم من

نفسه نفسا خاطبها فقال أمن تذكر جيران بكسر الجيم اي محبوبين ساكنين

بذي سلم مزجت بفتح التا دمعا جرى من مقلة اي عين بدم منك اتبا اما

متعلقة بمزجت فتكون للتعدية او بجرى فتكون للمصاحبة ويجوز

ان يتنازعه كل منهما والمراد على كل حال شدة البكا استفهم عن سببه

أهو تذكر المحبوبين الفائتين أم هبت الريح اي هاجت من تلقا اي جهة

كاظمة بصرفها للضرورة واومض البرق اي لمع في ظلمة الليل من تلقا

اضم فكان محبوبا او باسمه هو السبب ومن فيها للابتداء وذو سلم وكاظمة

واضم بكسر الهمزة اماكنة قريبة من مكة والمدينة او اضم اسم جبل بها

فهم انها اماكن [illegible] بها اسها [illegible] فانه يشير الى ان مدحه

[illegible] في رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استفهم عن سبب ذلك استفهاما

تقريريا فكان المخاطب الكره لانكاره الحب فقال له مستفهما استفهاما انكاريا

فما لعينيك [illegible] في انكارك ان قلت لهما اكففا عن البكاء اي

[illegible] [illegible] منهما [illegible] وما لقلبك ان قلت له

استفق [illegible] عشقا وكلام من هذين الاول

من [illegible] [illegible] الى الخطاب الى الغيبة

القسم الأول

النسيب النبوي

وقد جرد الناظم من نفسه نفسا خاطبها ، فقال :

١

أمِنْ تَذَكُّرِ جيران بذي سَلَم مَزَجْت دمعا جرى من مُقْلةٍ بدَمِ

« أمن تذكر جيران » : بكسر الجيم ، أي محبوبين ساكنين .

« بذي سلم مزجت » : بفتح التاء .

« دمعا جرى من مقلة » : اي عين .

« بدم » منك .

الباء اما متعلقة بـ مزجت فتكون للتعدية او بـ جرى فتكون للمصاحبة ، ويجوز أن يتنازعه كل منها . والمراد على كل حال شدة البكاء . استفهم عن سببه : أهو بذكر المحبوبين الغائبين ؟

٢

أمْ هَبَّتِ الريحُ مِنْ تلقاءِ كاظِمَةٍ وأوْمض البرقُ في الظَّلماء من إضَمِ

« أم هبت الريح » : أي هاجت .

« من تلقاء » : أي جهة .

« كاظمة » : بصرفها للضرورة .

« وأومض البرق » : اي لمع .

« في » : الليلة .

« الظلماء من » : تلقاء .

« اضم » : فكأن هبوبها وايماضه هو السبب .

ومن فيهما للابتداء . و ذو سلم و كاظمة و اضم بكسر الهمزة : أمكنة قريبة من مكة والمدينة ، او اضم اسم جبل هناك . أفهمَ انها

امكنة احبابه ، ففيه براعة استهلال (١) فانه يشير الى ان هذه القصيدة مدح في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم استفهم عن سبب ذلك استفهاما تقريريا ، فكأن المخاطب أنكره لانكاره الحب ، فقال له مستفهما استفهاما انكاريا :

٣

فما لِعَيْنَيْك إنْ قُلْت : أكْفُفا هَمَتا ... وما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْت : اسْتَفِقْ ، يَهِم

« فما لعينيك » ان صدقت في انكارك .

« ان قلت » لهما .

« اكففا » عن البكاء : اي اتركاه .

« همتا » : اي سال دمعهما عجزا عن امساكه .

« وما لقلبك ان قلت » له .

« استفق » : أي أفق مما أنت فيه .

« يهم » : أي يذهب عشقا .

وكل من هذين الامرين من آثار الحب وما في الوصفين . ثم قال ملتفتا الى الغيبة ، مستفهما استفهاما للتعجب الانكاري :

٤

أيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ... ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومُضْطَرِمِ

« أيحسب » بفتح السين وكسرها ، وما بعدها خبر .

« الصب » : أي العاشق مع كثرة بكائه حتى كأنه يصب الدمع من عينيه .

---

(١) نوه ابن حجة خلال حديثه عن براعة الاستهلال بهذين البيتين ، فقال : « ومطلع البردة في هذا الباب من احسن البراعات ايضا ، وهو : امن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم فمزج دمعه عند تذكر جيران بذي سلم من الطف الاشارات الى ان القصيدة نبوية ، وما احلى ما قال بعده :

ام هبت الريح من تلقاء كاظمة ... واومض البرق في الظلماء من اضم

« ابن حجة الخزانة ، ص ١٥ » .

« أن الحب منكتم » : اي مستتر عن الناس •

« ما » زائدة للتعليل : اي شيئا مـن الانكتام ، او مصدريـة ظرفية : اي مدة وجوده •

« بين » دمع •

« منسجم منه » اي سائل •

« و » قلب « مضطرم » منه : اي مشتعل (١) •

اي ما ينبغي للمحب أن يظن انكتام حبه في حـال ظهوره بانسجام دمعه واضطرام قلبه • ثم اصبح على انه محب ، فقال مخاطبا له :

•

لَوْلا الهوى لم تُرِقْ دَمْعاً على طَلَلٍ ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

« لولا الهوى » : اي الحب موجود •

« لم ترق » : اي لم تصب ، التفات من الغيب الى الخطاب ، اي لم تصب •

« دمعا على طلل » : منسوب الى المحبوب ، وهو مـا بقي مـن آثار الدار • « وعلى » اما للاستعلاء على اصلهـا ، واما للتعليـل ، نحو : « ولتكبروا الله على ما هداكم » (٢) •

« ولا أرقت » بكسر الراء ، اي سهرت •

« لذكر » اللام للتعليل ، اي لاجل ذكر •

« البان والعلم » المشبه بهما المحبوب ، في طول القامة ، وحسن الهيئة ، وطيب الريح •

والبان شجر معروف والعلم : الرمح في رأسه رايـة • ويحتمل انه (٣) المراد لتذكره بالبان ذا سلم المشتمل علـى (٤) اشجار السلم ، وبالعلم والمراد به الجبل اضما ، فانه اسم جبـل ايضا والشيء بالشيء يذكر •

---

(١) سورة البقرة ٢ / ١٨٥ .

(٢) في الاصل : « ان » .

(٣) في الاصل : « أعلى » .

ثم تعجب من انكاره الحب بعد ظهوره ، فقال :

٦

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَما شَهِدَتْ ... بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ؟

« فكيف تنكر حبا » بضم الحاء وكسرها ، اي محبة .

« بعدما شهدت به عليك عدول الدمع » المنحدر .

« والسقم » طول المرض الناشىء عنه ، و (السقم) بضم السين ، وسكون القاف ، وبفتحهما .

و ما في النظم مصدرية . واضافة عدول الى ما بعده لبيانه ، واستعمال الجمع في اثنين شائع . والمراد العدول المستفادة من جهتهما ، وهي في النظم خمسة : هميان الدمع ، وهميان (١) القلب اذا نهاهما ، واراقة الدمع على الاطلال ، وتمكن (٢) الوجد في الباطن ، والارق لذكر البان والعلم .

وعطف على « شهدت » قوله :

٧

وأثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنًى ... مِثْلَ البَهارِ على خَدَّيْكَ والعَنَمِ

« وأثبت الوجد » : اي الحزن بسبب الحب الحاكم عليك .

« خطي عبرة » بفتح العين ، اي بكاء ، بأن سال دمع العينين .

« وضنى » عطف على خطي ، وهو المرض الشديد ، والمراد أثره .

« مثل البهار » بفتح الموحدة ، ورد اصفر .

« على خديك » متعلق بـ أثبت .

« والعنم » بفتح المهملة والنون ـ شجر له اغصان حمر لينة ، وقيل : أطراف الخروب (٣) .

---

(١) في الاصل : « هميان » .
(٢) في الاصل : « ويمكن » .
(٣) الخروب والخرنوب ، وقد تفتح هذه ، شجر معروف ، برية شوك

ومثل صفة لخطي (١) وضنى • والقصد تشبيه الخطين بالعنم في الحمرة لانمزاج الدمع بالدم ، وتشبيه أثر الضنى بالبهار في الصفرة ، ففي الكلام لف ونشر غير مرتب •

ولما انجلى كون المخاطب محبا ، وكان هو المتكلم في المعنى رجع عن التجريد الى التكلم ، واعترف بالحب ، فقال :

٨

نَعَمْ ، سرى طَيفُ مَنْ أهوى فَأَرَّقَني
والُحُبُّ يَعْـــتَرِضُ اللَّذَّاتِ بالأَلَمِ

« نعم سرى » الي •

« طيف » اي جاءني ليلا خيال •

« من أهوى » اي أحبه •

« فأرقني » : اي اسهرني في ألم بعد ان كنت في لذة النوم •

« والحب يعترض اللذات » : اي يحول دونها •

« بالالم » : اي بالوجع من جهة ما ينشأ عنه من عدم الوصل من المحبوب •

وهذه الجملة حالية او معترضة • ونعم تكون لتصديق مخبر بعد خبر كـ (قام زيد) ولاعلام يستخبر بعد استخبارة ، كـ (اقام زيد ؟) ولو عد طالب بعد طلبه كأعطني ، وهو ـ كما قال شيخنا ـ للاول او الثاني •

ثم استشعر لائما في الحب ، فقال :

٩

يالائمي في الهوى العذري معذرة
مِنّي إلَيْكَ ولو أنصَفتَ لَمْ تَلُمِ

« يا لائمي » : اي عاذلي •

ذو حمل كالتفاح لكنه بشع ، وشامية ذو حمل وثمره طوال كالقثاء الصغار الا انه عريض ، وله رب وسويق .

(١) في الاصل : « يخطي » .

« في الهوى العذري » بذال معجمة : اي الحب المفرط المنسوب الى بني عذرة ، قبيلة من العرب يؤدي العشق بهم الى الموت •

« معذرة مني اليك » منصوب مصدرا ، او نصب المصدر بفعل مقدر ، وهو بدل من اللفظ ، اي اعتذر اليك بأني قتيل (١) بالحب لمن اهواه •

« ولو انصفت » : اي عدلت •

« لم تلم » في الحب لا سيما العذري بعملك لانه (٢) ليس اختياريا •

ثم دعا على لائمه ، فقال :

١٠

عَدَتْكَ حالي لاسِرّي بِمُسْتَتِرٍ عَنِ الوُشاةِ ولا دائي بِمُنْحَسِمِ

« عدتك » : اي تعدت اليك •

« حالي » في الحب بان يبتليك الله بها فتعذرني •

« لا سري بمستتر عن الوشاة » بضم الواو ، جمع واش : اي الساعين في الفساد بيني وبين من اهواه •

« ولا دائي » : اي مرضي في الحب •

« بمنحسم » (٣) اي منقطع لعدم الوصل (٤) من المحبوب ، فتكون هذه الجملة انشائية دعائية •

ويحتمل ان يكون المعنى : تعدتك حالي اي جاوزتك فلم تصب بمصيبتي ، ولو أصبت بها لما عذلتني ولعذرتني ، فتكون الجملة خبرية•

ثم اعترف للائمه (٥) بالنصح ، فقال :

---

(١) في الاصل : « متيل » .
(٢) في الاصل : « بانــه » .
(٣) في الاصل : « بمنسجم » .
(٤) في الاصل : « والوصل » .
(٥) في الاصل : « الائمة » .

١١

مَحَضْتَني النُّصحَ لكن لَستُ أَسْمَعُهُ إنَّ المُحِبَّ عن العُذّالِ في صَمَمِ

« محضتني النصح » وهو الارشاد الى المصلحة ، اي اخلصته [ل]ي وعمك من شوائب الاغراض (١) فـي لومك لي في الهوى مـن قبل [ا]سبابه كالالتفات الى محبوبه ، والتطلع اليه ، والتفكر في محاسنه •

« لكن لست اسمعه » اي سماع قبـول ، ولما كـان عدم قبوله النصح على خلاف مقتضى العقل ابدى عذره في ذلك ، فقال :

« ان المحب » ، فيه التفات من التكلم الى الغيبة •

« عن العذال » بذال معجمة : اي اللوام •

« في صمم » : اي لا يقبل نصح العذال •

١٢

إني اتَّهمتُ نصيحَ الشَّيْبِ في عَذَلي والشَّيْبُ أَبْعَدُ في نُصْحٍ عن التُّهَمِ

« اني اتهمت نصيح الشيب » اضافته للبيان ، اي الشيب الناصح اتهمته •

« في عذلي » بفتح الذال المعجمـة : اسم مصـدر ، والمصدر بسكونها ومعناه اللوم •

« والشيب ابعد في نصح عن التهم » •

---

(١) في الاصل : « الاعراض » .

القسم الثاني

التحذير من هوى النفس

وعلّل اتهامه له بقوله :

١٣

فإنَّ أمّارتي بالسُّوءِ ما اتّعظت   مِن جَهلِها بِنَذيرِ الشَّيبِ والهَرَمِ

« فان أمارتي » : اي نفسي الكثيرة الامر .

« بالسوء » : اي بكل قبيح .

« ما اتعظت » اي ما انزجرت بالوعظ .

« من » أجل .

« جهلها بنذير الشيب والهرم » : اي ابيضاض الشعر وكبر السن، وضعف القوى ، وذلك بقرب الموت المفوت للتوبة وسائر الطاعـات ، واضافته بـ « نذير » للبيان وعطف على « ما اتعظت » قوله :

١٤

ولا أعدّت مِنَ الفِعْلِ الجميلِ قِرى   ضَيفٍ أَلَمَّ بِرَأْسي غَيرَ مُحْتَشِمِ

« ولا أعدّت » : اي هيأت .

« من الفعل الجميل » : اي الحسن .

« قرى ضيف » اي احسانا اليه .

« ألمّ » : اي نزل الضيف .

« برأسي غير محتشم » لي اي غير مستح مني في نزوله برأسي ، وهو الشيب .

وعدم احتشام الضيف في نزوله دليل على كرمه في عادة العرب ، وقرى هذا الضيف هو (٢) الاعمال الصالحة مـن التوبة وغيرها ، ولم أوفره باتيانيها ، ويجوز في غير الفتح على انه حال من فاعل ألمّ والجر على أنه صفة ضيف .

---

(١) في الاصل : (وهو) ، والصواب حذف الواو .

(٢) ضمن الشاعر الشطر الثاني مـن بيته بالشطر الاول مـن مطلع قصيدة نظمها المتنبي في صباه ، وتمامه قوله :

(والسيف احسن فعلا منه باللمم)

ديوان المتنبي ، ج ٤ ص ٣٤

١٥

لوْ كنتُ أعلَمُ أنّي ما أُوَقِّرُهُ　　　كَتَمْتُ سِرًّا بَدالي مِنه بِالْكَتم

« لو كنت اعلم » قبل نزوله بي .

« أني ما أوقره » اي أعظمه بعد نزوله بي .

« كتمت » اي اخفيت .

« سرا » اي شيبا .

« بدا » اي ظهر .

« لي منه » من الضيف .

« بالكتم » بفتح الكاف والتاء ، نبت يخلط بالحناء يختضب به .

اي خضبته حين نزوله حتى أُنسب الى عدم توقيره الناشيء من نفسي الامارة ، فقال .

١٦

مَن لي بِرَدِّ جِماحٍ مِنْ غَوايَتِها　　　كما يُرَدُّ[1] جِماحُ الْخَيْلِ باللُّجُمِ

« من لي برد » أي بصرف .

« جماح » بكسر الجيم ، اي غلبة .

« من غوايتها » بفتح الغين المعجمة ، اي ضلالها .

« كما يرد جماح الخيل » اي غلبتها لراكبها .

« باللجم » جمع لجام . وهذا استفهام تضرع واستعطاف ، اي من يتكفل لي بردها تفضلا بمواعظه السنية ، او اسراره العلية .

ثم قال واعظا نفسه او على لسان من يعظمه :

١٧

فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَ شَهْوَتِها　　　إنَّ الطَّعامَ يُقَوّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

« فلا ترم » اي تطلب .

---

(١) في الاصل : « فلذلك » .

« بالمعاصي » المشتهاة .

« كسر » اي صرف .

« شهوتها » فذلك (١) لا ينقصها بل يزيدها، واستدل على ذلك(٢) بنظير اظهر منه ، فقال :

« ان الطعام » وهو ما يؤكل .

« يقوي شهوة النهم » بفتح النون وكسر الهاء ، اي الشديد اليه لالفه له كذلك إلف النفس للمعاصي ، يقوي شهوتها اليها . والشهوة ميل النفس الى شيء .

وزاد في المثال لذلك ، فقال :

١٨

والنَّفْسُ كالطِّفل إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على
حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطُمْهُ يَنْفَطِمِ

« والنفس » اي الروح .

« كالطفل ان تهمله » اي تتركه .

« شب » اي نشط وقوي .

« على حب الرضاع » بفتح الراء ، وكسرها لا لغة له .

« وان تفطمه » عنه .

« ينفطم » ، والنفس انما تنفطم عن مألوفاتها من المعاصي برادع قوي او لطف الهي (١) .

١٩

فاْصرِفْ هواها وحاذِرْ أنْ تُوَلِّيَه
إنّ الهوى ما تولى يصْمِ أوْ يَصِمِ

« فاصرف » اي رد .

« هواها » بما تقدر عليه .

« وحاذر » اي احذر .

« أن توليه » من الولاية ، اي تؤمره على امر .

---

(١) في الاصل : « لذلك » .

(٢) في الاصل : « لطفى الا هي » .

« ان الهوى ما تولى » بالبناء (١) للمفعول في السماع ، ويجوز بناؤه للفاعل .

« يصم » بضم الياء ، اي يقتل .

« او يصم » بفتحها ، اي يعيب .

وما شرطية هي وما بعدها خبر (إنّ) وأو للتقسيم نحو كونوا هودا أو نصارى (٢) .

٢٠

وَراعِها وَهْيَ في الأَعمالِ سائمةٌ
وإنْ هي ٱستُحَلت المرعى فلاُتسِمِ

« وراعها » اي لاحظها .

« وهي » اي : والحالة انها .

« في الاعمال » الصالحة .

« سائمة » اي مسارعة (٣) منتقلة من عمل الى آخر .

« وان هي استحلت المرعى » الذي (٤) ترعى فيه من الاعمال اي وجدته حلوا .

« فلا تسم » بضم اوله ، اي فلا تبقها في ذلك بل اقطعها عنه خوف العجب والرياء، واستعملها فيما لا تستحليه من اعمال أخر مطلوبة.

ثم استشهد على حال ما امر برعايته ، فقال :

٢١

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قاتِلَةً
مِنْ حَيثُ لَمْ يَدرِ أنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ

« كم » خبرية بمعنى كثير .

---

(١) في الاصل : « يقل » .

(٢) سورة البقرة ٢ / ١٣٥ .

(٣) في الاصل : « سارعة » .

(٤) في الاصل : « التي » .

« حسنت » اي زينت .

« لذة للمرء » بتثليث الميم ، اي للرجل او الانسان ، وقد تنازعه حسنت و لذة وقوله للذة « قاتلة » له اي مطعوم او غيره .

« من حيث لم يدر ان السم » بتثليث السين ، كائن .

« في الدسم » اي الودك فتهلك به بالتدريج .

٢٢

وَٱخْشَ الدَّسائِسَ من جُوعٍ ومِنْ شَبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِـــنَ التُّخَمِ

« واخش » اي خف .

« الدسائس » الحاصلة .

« من جوع ومن شبع » بان لا تبالغ فيهما ولا تستبعد الدسائس من الجوع .

« فرب مخمصة » اي مجاعة .

« شر من التخم » جمع تخمة . وهي فساد الطعام في المعدة بادخال بعضه على بعض .

الدسائس : جمع دسيسة ، وهي المكر الخفي ودسائس الجوع : الحدة وسوء الخلق ونحوهما . ودسائس الشبع قبل انهضامه الكسل وغلبة الشهوة واظلام القلب ونحوها ، وكل من هــذه الامور مشوش للعبادة ، وقد تحصل العبادة مع الشبع دون الجوع فيكون شرا مــن الشبع وقد قابل الجوع بالشبع في اول البيت ، والمراد بهما الشديدان ، فلذلك عبر عنهما في آخره بالمخمصة والتخمة ، و رب هنا حرف تقليل.

٢٣

وَٱسْتَفْرغ الدَّمعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ ٱمْتَلأَتْ
مِــنَ ٱلمحارِمِ وٱلْزَمْ حِمْيَةَ النَّــدَمِ

« واستفرغ الدمع » اي اطلب افراغه بالبكاء .

« من عين قد امتلأت من المحارم » بالنظر اليها ، اي بكثرة العلائق

الحاصلة فـي القلب بسببهما اي جعلـه فـي القلب شبها او شبيها •
و « المحارم » جمع محرم بمعنى حرام •

« والزم حمية الندم » المعنى به التوبة التـي تحميك مـن عقاب المحارم وتخلصك (١) منه كما تخلص المريض حميته من السقم •

٢٤

وخالِفِ النَّفْس والشَّيْطانَ واعْصِهِما
وإنْ هُما مَحَضاكَ النُّصْح فـاتَّهِمِ

« وخالف النفس » الامارة بالسوء •

« والشيطان واعصهما » فيما يأمران به ، وينهيان عنه •

« وان هما محضاك النصح » اي أخلصاه كأن يقول لك والنفس : متعني بشهوة كذا لأتملى (٢) منها ، ثم اتوجه الى الطاعة بنشاط •

« فاتهم » لهما في ذلك الجواز ان يكـون دسيسته لشر بعـده وأكد قوله ، وخالف الى آخره بقوله :

٢٥

ولا تُطِـعْ مِنْهُما خَصْماً ولا حَكَماً
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ والْحَكَمِ

« ولا تطع منهما خصما ولا حكما » اي حاكما : اراد بالخصـم النفس وبالحكم الشيطان ، او بالعكس • ومنهما حـال مـن خصماً وحكماً •

« فأنت تعرف كيد الخصم والحكم » من الناس : اي مكرهما ليوقعاك فيما يضرك وكيد النفس والشيطان ، وذلك أعظم •

ولما أمر بما امر ، ونهى عـن ضده ، خاف ان يكـون ممن يأمر بالمعروف ، ولا يأتيه ، وينهى عن المنكر ويأتيه ، فقال :

---

(١) في الاصل : « ويخلصك » .
(٢) في الاصل : « يخلص » .

٢٦

أَسْتَغْفِرُ اللّهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لذي عُقُمِ

« استغفر الله » اي اطلب منه الغفران اي ستر عيوبي .

« من قول بلا عمل » به .

« لقد نسبت » اي اضفت .

« به » اذا اتصفت به .

« نسلا » اي ولدا .

« لذي عقم » بفتح القاف مع ضم العين لغة في سكونها مع ضم العين وفتحها (١) اي من لم يلد، اي صرت في مقام الكذاب ذي البهتان. بذلـك :

٢٧

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ ما ائْتَمَرْتُ بِهِ وما اسْتَقَمْتُ فما قَوْلي لك : اسْتَقِمِ ؟

« امرتك الخير » اي به .

« لكن ما ائتمرت به » اي ما امتثلته .

« وما استقمت » انا ، اي ما اعتدلت

« فما قولي لك : استقم » المعدود من الامر و النهي المارين ، اي فانه لا ينفع غالبا الا اذا استقمت انا .

٢٨

ولا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نافِلَةً وَلَمْ أُصَلِّ سِوى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

« ولا تزودت » اي عملت .

« قبل الموت » المفوت للطاعة .

---

(١) العقم ، بالفتح والضم : هزمة تقـع في الرحم فلا تقبـل الولد يقال : امراة عقيم من نسوة عقائم : ويقال رجل عقيم وعقـام لا يولد له والجمع عقماء وعقام وعقمى .

« نافلة » اي تطوعا ، واشار بلفظ التزود الى ان الدنيا مرحلة ، وهو فيها عابر سبيل ، فهو محتاج الى الزاد ، وأكد مفهوم ذلك بقوله :

« ولم اصل سوى فرضي » بكسر السين وضمها .

« ولم أصم » أي سوى فرض . وخص الصلاة والصوم بالذكر لانهما محض عبادة بدنية .

القسم الثالث

مدح الرسول الكريم

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحيـا الظَّلامَ إلى
أنِ اشْتَكَتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ [١]

« ظلمت » بتركي النافلة .

« سنة من احيا الظلام » اي الليل لقيامه فيه مصليا وذاكرا وتاليا .

« الى ان اشتكت قدماه الضر » بالضم اي سوء في حالهما بالانتفاخ .

«من» أجل. «ورم» او من بيانيه، اي من الضرر الذي هو ورم حل بهما (كان النبي) (٢) صلى الله عليه وسلم (ليقوم يصلي حتى ترم قدماه او ساقاه) (٣) ، وقد قيل له : أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكورا ؟ رواه الشيخان (٤) و (الى) غاية لـ (أحيا الليل) وهي بيان للواقع ، فلا مفهوم لها .

---

(١) اورد ابن حجة الحموي هذا البيت في خزانته المعروفة باسم « تقديم ابي بكر » شاهدا خلال حديثه عن الجناس المركب والمطلق قائلا :
ورأيت الشيخ شمس الدين بن الصائغ في شرحه على البردة لما انتهى الى قول المصنف :

ظلمت سنة من احيا الظلام الى ... ان اشتكت قدماه الضر من ورم

قال : « ظلمت » و « الظلام » جناس اشتقاق ، وهو كقوله تعالى « واسلمت مع سليمان » . قلت اما « ظلمت » و « ظلام » فاشتقاق بلا خلاف ، و « اسلمت » مع « سليمان » جناس مطلق لانه لم يرجع في المعنى الى اصل واحد ، وهو اعظم شواهد البديعيين على الجناس المطلق « الخزانة ص ٣١ ، ٣٢ » .

(٢) زيادة ساقطة من الاصل تنقص المعنى استدركناها من صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٥٠ .

(٣) زيادة ساقطة من الاصل تنقص المعنى استدركناها من المصدر السابق نفسه .

(٤) انظر الحديث المذكور في صحيح البخاري ، ج ١ ص ٥ .

وعطف على أحيا قوله :

٣٠

وشدَّ مِنْ سَغَبٍ إحشاءهُ وطَوى   تَحْتَ الحِجارَةِ كَشحاً مُترَفَ الأدَمِ

« وشد » اي عصب .

« من » أجل .

« سغب » اي جوع .

« احشاءه » اي اضلاعه او بطنه بما احتوى عليه .

« وطوى » اي وثنى من جلد بطنه .

« تحت الحجارة » التي وضعها عليه .

« كشحا » وهو ما بين الخاصرة وأقصر الجنب .

« مترف الادم » بفتح الراء نعت ل كشحا اي ناعم الجلد جدا في غاية . وشده الحجر على بطنه وقع في حفر الخندق . رواه البخاري . وحكمته انه يخفف (١) ببرد الحجر حرارة الباطن ، ويستعين بثقله على خفة احشائه .

ثم دفع ما يتوهم أن جوعه كان من فاقة وفقر ، لا من زهد في الدنيا بقوله :

٣١

وَراوَدَتْهُ الجبالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ   عَنْ نَفْسِهِ فأَراها أَيَّما شَمَمِ

« وراودته الجبال الشم » جمع أشم ، اي العوالي حالة كونها

« من ذهب عن نفسه » اي طلبت منه باختيار ان يأخذها .

« فأراها أيما شمم » بزيادة ما للتأكيد ، اي أعرض عنها ، وارتفع عليها غاية الارتفاع وهذا مأخوذ من خبر : ان جبريل قال له : ان الله يقول لك : أتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا ، وتكون معك حيثما كنت ؟ فأطرق ساعة ، ثم قال : يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، قد يجمعها من لا عقل له ، فقال له جبريل : ثبتك الله بالقول الثابت يا محمد . ذكره صاحب الشفاء وغيره .

---

(١) في الاصل : « يخاف » .

٣٢

وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فيها ضَرورتهُ ‏ إنّ الضَّرورة لا تَعدو على العِصَم

« وأكدت زهده » مفعول .

« فيها » اي في الجبال من ذهب .

« ضرورته » الى شيء فيها ، فاعل (أكدت) .

« ان الضرورة لا تعدو (١) على العصم » اي لا تعتدي عليها ولا تغلبها . و العصم جمع عصمة وهي قوة مــن الله تعالى في عبده تمنعه عن ارتكاب شيء من المعاصي والمكروهات .

ثم استدل على الحكم الذي نفاه ، فقال :

٣٣

وكَيْفَ تدعو إلى الدُّنيا ضَرورةُ مَنْ ‏ لَوْلاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنيا مِنَ الْعَدَمِ

« وكيف » للاستفهام الانكاري اي لا .

« تدعو » (٢) اي تميل .

« الى » حب .

« الدنيا » اصالة .

« ضرورة من لولاه » موجود .

« لم تخرج الدنيا من العدم » الى الوجود ببناء تخرج للفاعل او للمفعول به ، وخرج بقولي اصالة عما ضرورته اليها عرضا كالحاجة الى قدر القوت وستر العورة مع اعلامه ، صلى الله عليه وسلم ، ان ذلــك ونحوه ليس من الدنيا ان كان فيها صورة ، وقوله : لــولاه الى آخره مأخوذ من حديث الحاكم والبيهقي ، لما اقترف آدم الخطيئة ، كان رأى على قوائم العرش مكتوبا : لا اله الا الله محمد رسول الله سأل بحق محمد أن يغفر له فقال الله تعالى : اما اذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك وقد خلق الله لولد آدم ما فــي الارض وسخر الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك .

---

(١) في الاصل : « الا تعدوا » .

(٢) في الاصل : « تدعوا » .

٣٤

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْـ
ـنِ والْفريقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

« محمد » بالرفع ، اي الممدوح محمد ، ويجوز جره بالبدلية من « من » ونصبه على المدح .

« سيد » أهل .

« الكونين » اي الموجودين وجود الدنيا ووجود الآخرة ، بمعنى الموجودين فيها ، ويحتمل ان يكون المراد بالكونين عالم الغيب وعالم الشهادة .

« والثقلين » اي الانس والجن .

« و » سيد .

« الفريقين من عرب ومن عجم » وهذا وما قبله من عطف الخاص على العام .

ومن تمام معنى السيادة قوله :

٣٥

نَبيُّنا الآمر النَّاهي فلا أَحدٌ
أَبَرَّ في قول : «لا» ، منه ولا «نَعَمِ»

« نبينا الآمر » بالمعروف .

« الناهي » عن المنكر من قبل الله تعالى .

« فلا احد » من الخلق .

« ابر » بالنصب ، اي اصدق .

« في قول : لا منه ولا » قول .

« نعم » ، بل هو ابر منهم في ذلك ، والفاء لمجرد العطف .

٣٦

هُوَ الحبيبُ الذي تُرْجى شفاعَتُهُ
لكُلِّ هَوْلٍ من الأهوال مُقْتَحَمِ

« هو الحبيب » لله .

« الذي ترجى شفاعته » عنده .

« لكل هول » اي مخوف •

« من الأهوال مقتحم » بفتح الحاء ، يقتحم فيه الخلق ، وذلك في يوم القيامة • قال شيخ الاسلام محيي الدين النووي ، رضي الله عنه : « وللنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيه شفاعات خمس : الشفاعة العظمى للفصل بين اهل الموقف ، وفي جماعة يدخلون الجنة بغير حساب ، وفي اناس دخلوا النار فيخرجون منها ، وفي رفع درجات اناس في الجنة • والمختص به منها الاولى والثانية ، ويجوز ان يكون الثالثة والخامسة أيضا » انتهى • وزاد بعضهم شفاعات اخرى ، يرجع بعضها الى بعض ما ذكر •

٣٧

دَعَا إلى اللهِ فالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ ... مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

« دعـا » اي طلب •

« الى الله » اي الى دينه ، وهو الاسلام عباده ، كما قال تعالى: أدع الى سبيل ربـك (١) اي الى الاسلام ، وحذف المفعول للتعميم •

« فالمستمكون به » اي فالمعتصمون بالنبي فيما دعاهم اليه •

« مستمسكون بحبل » اي بسبب •

« غير منفصم » بالفاء ، اي منقطع •

وهذا مأخوذ من قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها (٢) •

٣٨

فاقَ النَّبيِّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... ولم يُدانُوهُ في عِلْمٍ ولا كَرَمِ

« فاق النبيين » كلهم ، فغيرهم من باب اولى •

« في خلق » بفتح المعجمة اي صورة •

« وفي خلق » بضم المعجمة واللام ، وهو ما طبع عليه من

---

(١) سورة البقرة ٢ / ٢٥٦ •

(٢) سورة النحل ١٦ / ١٢٥ •

الخصال الحميدة .

« ولم يدانوه » اي يقاربوه .

« في علم ولا كرم » . والمراد تفضيله في الذات والصفات والافعال باشتماله على الكمالات الظاهرة والباطنة كما شهدت لذلك الادلة المعروفة . وهذا اخبار بالواقع ، فليس فيه تنقيص لاحد من النبيين ، وقد راعى مقامهم والادب معهم في قوله :

٣٩

وكُلُّهم مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفاً مِنَ الْبَحْرِ أوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

« وكلهم من رسول الله ملتمس » فان الالتماس يستعمل بالمتقاربين بخلاف السؤال اي طالب واخذ مما اوتيه من العلم والحكمة في علم الله تعالى .

« غرفا من البحر او رشفا » اي مصاً .

« من الديم » جمع ديمة ، وهي المطر الدائم ، كل منهم بحسب مقامه . ونظر في قوله ملتمس الى لفظ « كل » .

وعطف عليه نظرا (١) لمعناها قوله :

٤٠

وَواقِفونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمُ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

« وواقفون لديه » اي عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

« عند حدهم » بكسر الميم والاشباع ، اي غايتهم .

« من نقطة العلم » اي علم الله تعالى .

« او من شكلة الحكم » له ، جمع حكمة وهي صواب الامر وسداده .

والقصد من البيت ان غاية ما اوتوه من العلم والحكم مبدأ للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وناسب بالشكلة النقطة ، ولزيادة التفهم بها على النقطة خصها بالحكم وما ذكر في نقطة العلم مأخوذ من قول

---

(١) في الاصل : « نظرا » .

الخضر لموسى عليهما السلام لما غمس العصفور منقاره في البحر : ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله الا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره • رواه البخاري •

٤١

فَهُو الذي تَمَّ مَعْناهُ وصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطفاهُ حبيباً بارِئُ النَّسَمِ

« فهو الذي تم » اي كمل •

« معناه وصورته » اي باطنه في الكمالات ، وظاهره في الصفات•

« ثم اصطفاه » اختاره •

« حبيبا باريء » اي خالق •

« النسم » جمع نسمة ، وهي الانسان •

وثم للترتيب في الإخبار •

٤٢

مُنَزَّهٌ عَنْ شَريكٍ في مَحاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فيه غَيْرُ مُنْقَسِم

« منزه » اي مبعد ، خبر مبتدأ محذوف ، اي هو ، او هو خبر ثان لـ فهو •

« عن شريك » له • و شريك و منزه تنازعا قوله :

« في محاسنه » معنى وصورة • ومحاسن جمع حسن على غير قياس او جمع مَحسن بمعنى حسن (١) •

« فجوهر الحسن » الموجود •

« فيه غير منقسم » بينه وبين غيره لاختصاصه به ، بخلاف حسن سائر الناس ، فانه منقسم بينهم ، ومنه حسن يوسف ، عليه الصلاة والسلام ، فانه كما في صحيح مسلم أعطي شطر الحسن ، اي نصفه •

٤٣

دَعْ ما ادَّعَتْهُ النَّصارى في نَبِيِّهِمُ واحْكُمْ بما شِئْتَ مَدْحاً فيهِ واحْتَكِمِ

(١) في اللسان نقلا عن الجوهري ان المحاسن جمع حسن على غير القياس ، كأنه جمع محسن .

« دع » اي اترك في مدح النبي ، صلى الله عليه وسلم .

« ما ادعته النصارى في نبيهم » اي عيسى ، عليه الصلاة والسلام، من قولهم، كما قال الله تعالى عنهم وقالت النصارى : المسيح ابن الله (١)

« واحكم » اي اقض .

« بما شئت مدحا » تمييزا ، اي ثناء حسنا .

« فيه » اي في النبي ، صلى الله عليه وسلم .

« واحتكم » اي خذ في مدحه حكمك ، او انطق فيه بالحكم ، او آت فيه بالاحكام والاتقان . وكل ذلـك صحيح فافعله ، ولا تقل فيه الا (٢) ما هو ممتنع .

٤٤

وَٱنْسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَٱنسب إلى قَدرِهِ ما شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

« وانسب » اي اضف .

« الى ذاته » الكريمة .

« ما شئت من شرف » اي علو ورفعة .

« وانسب الى قدره » العظيم ، اي مقامه .

« ما شئت من عظم » اي تعظيم .

وخص الشرف بالذات لمناسبتها له فـي العلو ، والقدر بالعظيم لمناسبتها له في عدم النهاية ، والاحاطة .

وعلل ذلك بقوله :

٤٥

فإنّ فَضْلَ رسولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْه ناطِقٌ بِفَمِ

« فان فضل رسول الله ليس له حد » اي غاية .

« فيعرب » بالنصب جوابا للنفي ، اي فيفصح .

---

(١) في الاصل التوبة ٩ / ٣٠ .

(٢) في الاصل : « الى » .

« عنه ناطق » اي متكلم •

« بفم » •

والمعنى : لا حد له في الواقع ، فلا يفصح عنه اللسان ، وعبر عنه بالفم لانه محله • وذكر الفم بعد ناطق للتفهيم في كل ناطق من عربي وعجمي لنظيره في ذكر في الارض بعد دابة و بجناحيه بعد طائر في آية : وما من دابة في الارض ، ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم(١)

٤٦

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً
أَحيا اَسْمُهُ حينَ يُدْعى دارِسَ الرِّمَمِ

« لو ناسبت قدره آياته عظما » بالنصب تمييز محولا (٢) عن الفاعل وهو آياته ، والمفعول وهو قدره ، او بنزع الخافض ، اي في العظم •

« احيا » (٣) •

« اسمه حين يدعى » اي ينادي به •

« دارس » مفعول احيا (٤) بمعنى مدروس •

« الرمم » اي العظام البالية ، ودروسها زيادة في البلى (٥) اي احيا (٦) اسمه حين دعي به لاحيائه •

والمعنى : لو ناسبت قدره في العظم آيات له كان فيها الاحياء المذكور ، لانه اعظم آية • لكن الحكمة الالهية اقتضت ذلك حفظا (٧) لأصله ، فليست كقدره في العظم ، وان كان منها القرآن المتلو ، فان الذي من آياته انما هو حفظه دائما وتعجيزه به المعارض ، وانزاله عليه

---

(١) سورة الانعام ٦ / ٣٨ .
(٢) في الاصل « محول » .
(٣) في الاصل « احيى » .
(٤) في الاصل : « احيى » .
(٥) في الاصل : « البلا » .
(٦) في الاصل : « احيى » .
(٧) في الاصل : « حفظا » .

منجما في الوقائع وغيرها تخصيصا له به ، وادامة لإيناسه ، ورفعة لمقامه ، واجابة لسؤاله ، وسيأتي قول الناظم فيه :

آيات حق من الرحمن الى آخر البيتين (١)

ثم لا يلزم من جعل الاحياء من آياته ان يكون مناسبة لقدره الا أن يريد بها حينئذ مجموعها ، ولا ينافيها تقرر جعل الاحياء من آيات عيسى ، صلى الله عليه وسلم ، اذ هو غير المذكور هنا فتأمل .

٤٧

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِما تَعْيا العُقولُ بِهِ ... حِرْصاً عَلَيْنا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِم

« لم يمتحنا » اي يبتلينا في التكليف والتفهيم .

« بما تعيا (٢) العقول به » اي بما لم نعتمد لوجهه .

« حرصا علينا » أن لا تضل .

« فلم نرتب » اي نشك فيما اتانا به .

« ولم نهم » اي تتحير فيه ، بل نظنه او نتيقنه .

وكان ، صلى الله عليه وسلم ، يضرب الامثال بالمحسوسات نيتضح به ما يخفي على بعض الناس ادراكه حرصا على هدايتهم آخذا من قوله تعالى : « لتبين للناس ما نزل اليهم » (٣) .

٤٨

أعيا الْوَرَى فَهْمُ مَعْناهُ فَلَيْسَ يُرى ... في القُرْبِ وَالْبُعْدِ فيه غَيْرُ مُنْفَحِم

« اعيا الورى (٤) » اي اعجز الخلق .

« فهم معناه » اي حاله الذي خصه الله به من المعارف الالهية ، وبالتخلق بالصفات الربانية .

---

(١) وهما قول الشاعر بعد ذلك :

آيات حق من الرحمن محدثة ... قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ... عن المعاد وعن عاد ارم

(٢) في الاصل : « تعيى » .

(٣) سورة النحل ١٦ / ٤٤ .

(٤) في الاصل : « اعيى » .

« فليس يرى » بالبناء للمفعول .

« في القرب والبعد » منه .

« فيه غير منفحم » (١) اي عاجز عن ادراكه .

والمعنى أن كل من قرب او بعد منه عاجز عن ادراك صفاته ، وما بعد ليس مفسر لضمير الشأن فيها ، وقيل : انهـا هنا حرف ، وشبه في عدم ادراكه بقوله :

٤٩

كالشَّمْسِ تَظهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِن بُعُدٍ
صغيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِـنْ أَمَمِ

« كالشمس » اي هو كالشمس حالتي القرب والبعد منها .

« تظهر للعينين من بعد » بضم العين لغة في سكونها .

« صغيرة » قدر المرآة ، واعطف على تظهر قوله :

« وتكل الطرف » بضم التاء ، اي تعيي البصر عن رؤيتها .

« من امم » بفتح الهمزة اي من قرب منها ، لانهـا لكبرها جدا تكاد تخطف البصر وتعميه ، وقد قيل : انها قدر كرة الارض مائة مرة ونيفا وستين مرة ، وقيل قدر الدنيـا ؛ فهي لا تدرك بكمـالها حالتي القرب والبعد ، وان شوهدت صورتها . كذلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لا يدرك معناه ، وان شوهدت صورته وبعد الشمس يكـون حالتي طلوعها وغروبها ، وقربها يكون في غـير ذلك . وقيل : بعدهـا وافع مطلقا ، وقربها فرض .

٥٠

وكَيْفَ يُدْرِكُ في الدُّنْيا حَقيقَتَهُ
قَوْمٌ نيامٌ تَسَلَّوا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

« وكيف » للاستفهام الانكاري اي لا .

« يدرك في الدنيا حقيقته » اي معناه .

« قوم نيام » اي غافلون محجوبون عن ذلك .

---

(١) في الاصل : « منفخم » .

« تسلوا عنه » اي عن النظر في حقيقته .

« بالحلم » بضم اللام لغة في سكونها ، اي قنعوا بالاوهام والتخيلات ، او برؤيته في النوم ، وأنى (١) لهم بها ما في الآخرة ، فيظهر لكل الخلق قدره ومنزلته .

٥١

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فيهِ أنَّه بَشَرٌ ... وأنَّه خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

« فيبلغ العلم » اي غاية بلوغ علم الخلق .

« فيه » على الجملة .

« أنه بشر » من الناس .

« وأنه خير خلق الله كلهم » اي مخلوقاته من الملائكة والانس والجن وغيرهم .

فائدة : ذكر البشر دفع توهم انه ملك ، بناء على أن خير الخلق لا يكون الا ملكا (٢) ، وقد قال تعالى حكاية (٣) عن النسوة مشيرات الى يوسف : ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم (٤) اذ الجمع بين الجمال الرائق ، الكامل الفائق ، والعصمة البالغة من خواص الملائكة ، فكيف تجتمع في بشر ؟ فيقال لهن : قد جمع هذه الفضائل كلها مع فضيلة البشرية . هذا في يوسف ، فكيف بمن فاقه في كل ذلك ؟ وهذا تصور بوجه ما قاصر عن افادة الكنه في المحاسن .

٥٢

وكُلُّ آيٍ أتى الرُّسْلُ الكرامُ بها ... فإنما اتَّصلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

« وكل آي » جمع آية ، اي معجزة .

---

(١) في الاصل (اين) ، وكتب فوقها (واني) وفوقها ايضا (نسخ) من ذات الخط ويظهر أن الناسخ استدرك الخطأ كعادته في الكتابة فوق الكلمة او في الهامش .

(٢) في الاصل : (مكلفا) .

(٣) في الاصل : (حكاة) .

(٤) سورة يوسف ٣١/١٢

« أتى الرسل الكرام بها » ولا شك انها انوار يهتدي (١) بها .
« فانما اتصلت من نوره » الذي اوتيه في علم الله .
« بهم » اي فنورهم الذي فضلوا به ناشىء من نوره .
وعلل ما ذكر بقوله :

٥٣

فإنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كواكِبُها ... يُظْهِرْنَ أنوارَها لِلنّاسِ في الظُّلَمِ

« فانه شمس فضل هم كواكبها » ونورها مستفاد من الشمس .
« يظهرن » اي الكواكب .
« انوارها » اي الشمس .
« للناس في الظلم » لانها حال غيبتها ـ كما قيل ـ تحت الارض، وهي اكبر منها ـ كما مر ـ يفيض نورها على الكواكب بعد ارتفاعها ، فاذا ظهرت لا يبقى للكواكب نور . والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، لما ظهر نسخت شريعته شرائع من قبله من الانبياء ، عليهم الصلاة والسلام .

٥٤

أكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زانَهُ خُلُقٌ ... بالْحسْنِ مُشْتَمِلٍ بالْبِشْرِ مُتَّسِمِ

« اكرم بخلق نبي » تعجب ، اي ما اكرم خلقه عند الله تعالى .
« زانه خلق » اي حسنه ، بمعنى زاده حسنا . قال الله تعالى : وانك لعلى خلق عظيم (٢) .
« بالحسن » متعلق بقوله .
« مشتمل » بالجر ، صفه نبي وكذا قوله .
« بالبشر متسم » اي متصف ببشاشة الوجه والسرور فيه . وفي نسخة بالبر وهو سعة الخير بدل البشر .
والاول وهو ايضا انسب ، وعليه الرواية .

---

(١) في الاصل : « يهتدا » .
(٢) سورة القلم : القلم ٦٨ / ٤ .

كالزَّهْرِ في تَرَفٍ والبَدْرِ في شَرَفٍ
وَالبَحْرِ في كَرَمٍ والدَّهْرِ في هِمَمِ (١)

« كالزهر » وهو نور كل نبات •

« في ترف » اي تنعم • قال انس ، رضي الله عنه : ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، رواه الشيخان •

وك « البدر » اي القمر ليلة كماله ، وهي الليلة الرابعة عشرة (٢)•

« في شرف » وشرفه على سائر الكواكب الليلة ، وشرف النبي صلى الله عليه وسلم ، على سائر الخلق •

« و » ك « البحر في كرم » قال أنس ، رضي الله عنه : ما سئل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على الاسلام شيئا الا أعطاه ، فسأله رجل غنما بين جبلين ، فأعطاه اياه ، فأتى قومه ، فقال يا قوم أسلموا ، فوالله ان محمدا يعطي عطاء ما يخاف الفقر رواه الشيخان الا صدره فمسلم • ومن كرم البحر ما ذكره الله تعالى في آية وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا (٣) •

« و » ك « الدهر » اي الزمن •

« في همم » جمع همة بكسر الهاء وفتحها وهي العزم • له همم لا منتهى لكبارها ، وهمته الصغرى (٤) اجل من الدهر •

وهذه التشبيهات على عادة العرب ، والا فهو ، صلى الله عليه

---

(١) في هذا البيت نوع خاص من السجع الشعري يطلق عليه اسم (التشطير) ، وتعريفه عند علماء البلاغة ان يقسم الشاعر بيته شطرين ، ثم يصرع كل شطر منهما ، لكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر ليتميز كل شطر عن اخيه كما في قول ابي تمام :

تدبير معتصم ، بالله منتقم   لله مرتغب ، في الله مرتقب

(القزويني : الايضاح ، ج ١ ص ٢٨٥)

(٢) في الاصل : « الرابع عشر » .

(٣) سورة النحل : ١٦ / ١٤ .

(٤) في الاصل : « الصغر » .

وسلم ، أعلى من المشبه بـه فيما ذكر ، كما هو معلوم مـن الاخبـار الصحيحة ، وكما أشار اليه الناظم بعد قوله :

« فان من جودك الدنيا وضرتها » (١) .

وهو أيضا :

٥٦

كَأَنّه ، وَهْو فَرْدٌ مِنْ جلالَتِهِ ... في عَسْكَرٍ حينَ تَلْقاهُ وفي حَشَمِ

« كأنه ، وهو » والحالة أنه .

« فرد من جلالته » اي في عظمته كائن .

« في عسكر » اي جيش .

« حين تلقاه وفي حشم » اي خدم يغضبون لغضبه .

ومن جلالته علـة التشبيه ، وفي المعنى وجـه الشبه . والقصد تشبيهه (٢) مفردا بنفسه ، مصحوبا بعسكر (٣) وحشم ، وذلك مـن الهيبة والوقار ، وذلك في المشبه به اعلى ، ويجوز ان يكون اراد بذلك كمال شجاعته بمعنى انه في ثبات القدم ، وقوة البأس ، في حين توحده وانفراده ، كمن يكون في قلب الجيش والشجعان من الجند .

٥٧

كأنّما اللُّؤْلُؤ المكنون في صَدَفٍ ... مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ منهُ ومُبْتَسَمِ

« كأنما » ما كافة .

« اللؤلؤ المكنون » اي المصون .

« في صدف » اي في غشاية (٤) وهو فيه لكونه معدنه احسن منه في غيره كائن .

---

(١) وتمامه : « ومن علومك علم اللوح والقلـم » وهو البيت الرابـع والخمسون بعد المائة .

(٢) في الاصل : « تشبيه » .

(٣) في الاصل : « يعكس » .

(٤) غشاية : اي غطاء .

« من معدني منطق » اي كلام .

« منه » صلى الله عليه وسلم .

« ومبتسم » بفتح السين اي محل ابتسام منه ، وهو الثغر ، اي ما تقدم من الاسنان ، وهذا المعنى مأخوذ من قول البحتري (١) :

٥٨

فمن لؤلؤٍ يبديه عند ابتسامهِ   ومن لؤلؤٍ عند الكلام تُساقِطُهْ

والاضافة في معدني للبيان اي من كلامه وثغره لحسنهما في غاية . وهذا التشبيه (٢) عكس ما جرت به العادة من تشبيه الكلام والثغر المليحين باللؤلؤ لكون العكس المناسب للمقام ابلغ (٣) .

ولما مدحه في حياته بما سر ، مدحه بعد مماته بقوله :

٥٩

لاطيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضمَّ أعظُمَهُ   طُوبى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ ومُلْتَثِمِ

« لا طيب يعدل تربا » اي يساوي ترابا .

« ضم أعظمه » من رائحتها الطيبة في غاية . قال انس : ما شممت عنبرا ، ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رواه الشيخان . والمراد بـ أعظمه بدنه الشريف ، في ذكر الجزء وارادة (٤) الكل .

« طوبى لمنتشق » ، وفي نسخة مستنشق (٥) .

---

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها الشاعر البحتري ابا الصقر ، وروايته في الديوان :

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها   ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

« الديوان ج ٢ ص ١٢٣٠ » .

(٢) في الاصل : « التشبه » .

(٣) كتب احدهم في هامش هذه الورقة : حكي ان بعضهم راى في المنام ان الصديق ، رضي الله عنه ، شارف النبي ، صلى الله عليه وسلم، بهذا البيت والذي قبله ووقع باسم علي .

(٤) في الاصل « واراد » .

(٥) في الاصل « منتشق » .

« منه » بأنفه .

« وملتثم » اي معفر منه موضع اللثام (١) اي مقبل له ، من لثمه والتثمه اي قبله ، ويمكن ان يراد بـ المستنشق الزائر العابر ، والملتثم المقيم المجاور ، وطوبى مصدر من الطيب كبشرى وزلفى ، او اسم الجنة، او شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وواو طوبى منقلبة عن الياء لضمة ما قبلها كـ مرمي (٢) ومحله الرفع كـ سلام لك او النصب كـ سلاما لك والسلام الثاني كما في سقيالك . ومعنى طيبة (٣) تربته ، صلى الله عليه وسلم ، أنها أطيب ريحا عند الله من غيرها او مطلقا ، لكن احوال القبر من الاخروية لا يدركها من الاحياء الا من كشف له الغطاء من الاولياء المقربين .

---

(١) في الاصل « التام » .

(٢) في بحث الاعلال بالقلب انه اذا اجتمعت الواو والياء بشرط ان يكون السابق منها اصلا لا مبدلا من غيره ، وان يكون ساكنا وان يكون سكونه اصليا لا عارضا ، وان يكون في كلمة واحدة او فيما هو كالكلمة الواحدة ، فتنقلب الواو ياء ، وتدغم في الياء ، فـ « مرمي » اصلها « مرموي » ، و « مكرمي » اصلها « مكرموي » .

(٣) في الاصل : « الاطيبية » ، وقد رجحنا وفضلنا ذكر « طيبة » والمعروف ان « طَيبة » و «طيِّبة» و « طابة » وطيبة و ـ المطيبة ـ من اسماء المدينة المنورة سماها بها النبي وكان اسمها « يثرب » ، والثرب الفساد ، فنهى ان تسمى به والمعنى مشتق من الطيب لحسن رائحة تربتها فيما قيل وقيل من الشيء الطيب ، وهو الطاهر الخالص لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه .

القسم الرابع

التحدّث عن مولده

أبانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ ... يا طِيبَ مُفْتَتَحٍ مِنْهُ ومُخْتَتَمِ

« أبان مولده » اي مكان ولادته مجازا ، وهو نسبته لبني هاشم اي كشف •

« طيب عنصره » اي خلوص اصله عن ريب في نسبه ، فانه ، صلى الله عليه وسلم ، لم يولد من لدن آدم من سفاح بلا نكاح •

« يا طيب مفتتح » وفي نسخة مبتدأ •

« منه » العنصر •

« ومختتم » به العنصر ، فقد افتتح بهاشم ، واختتم بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وفي (صحيح) مسلم خبر ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم (١) •

ويجوز أن يراد بـ مبتدأ و مختتم اسما مكان اي مكان الولادة والمرقد ، وهو مناسب للبيت السابق واسما زمان ، اي زمان الولادة والوفاة ، والأولى أن يكونا مصدرين • والمراد بالنداء بـ يا طيب التعجب ، اي يا متعجبا تأمل طيب ما ذكر •

٦١

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمُ ... قَدْ أُنْذِروا بِحُلولِ الْبُؤْسِ والنِّقَمِ

« يوم » اي زمن وهو خبر مبتدأ محذوف ، اي هو مولده ، بمعنى زمن ولادته زمن • « تفرس فيه الفرس » وهم اهل مملكة فارس، اي أعلموا بالفراسة •

« أنهم » بالضم والاشباع (٢) •

« قد أنذروا » اي اعلموا •

« بحلول » اي نزول •

---

(١) زيادة غير موجودة في الاصل اقتضاها توضيح النص وهذا الاسلوب معروف عند المحدثين .

(٢) في الاصل : « ولاشباع » .

« البؤس والنقم » اي الشدة والعقوبات بهم .

والمعنى انه نزل عليهم البؤس والنقم حيث قارن ولادته ما ذكره الناظم بقوله :

٦٢

وباتَ إيوانُ كِسْرى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ

كَشَمَلِ أَصْحابِ كِسْرى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

« وبات ايوان كسرى » بكسر الكاف وفتحها ، آخر ملوك الفرس، اي مضت على ايوانه الليلة التي وُلد ، طلوعَ فجرها ، النبي ، صلى الله عليه وسلم .

« وهو منصدع » اي منشق ، وسقطت منه اربع عشرة شرافة .

« كشمل » اي مجمع عدد .

« اصحاب كسرى » بات .

« غير ملتئم » اي مجتمع .

و الايوان : الصفة العظيمة كالأزَج (١) ، او سقف ولا يكون لبعض جوانبه جدار ، وهو معرب (٢) و كسرى معرب خسرو (٣) ، وهو لقب لملك فارس ، وفرعون لملك مصر ، وقيصر لملك الروم ، والنجاشي (٤) لملك الحبشة ، وخاقان (٥) لملك الترك ، وتبع (٦) لملك

---

(١) في الاصل : « كالازج » . والازج بيت يبنى طولا ، ويقال له بالفارسية « اوستان » .

(٢) في اللسان : الاوان والايوان الصفة العظيمة ، وفي المحكم : شبه أزج غير مسدود الوجه ، وهو اعجمي ، ومنه ايوان كسرى .

(٣) كسرى : بكسر الكاف ويفتح ، وهو ملك الفرس ، وقوله : معرب خسرو معناه بالفارسية : واسع الملك .

(٤) النجاش والنجاشي : كلمة للحبش تسمي بها ملوكها . قال ابن قتيبة : هو بالنبطية اصحمة اي عطية . اما بالنسبة الى يائها فقد قال ابن الاثير : والياء مشددة قيل : والصواب تخفيفها .

(٥) خاقان : علم واسم لكل ملك خقنه الترك على انفسهم اي ملكوه

(٦) التبابعة : ملوك اليمن واحدهم تبع ، سموا بذلك لتتابعهم كلما

اليمن و الجلندر لملك البحرين •

٦٣

وَالنَّارُ خامِدةُ الأنْفاسِ مِـــنْ أَسَفٍ
عَلَيْـــهِ والنَّهْرُ ساهي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

« والنار » التي يعبدونها •

« خامدة الانفاس » اي ساكنة لا لهب لها تلك الليلة ولا حرارة ، بعد أن لم تخمد الف عام كما قيل :

« من أسف عليه » اي من شدة حزن على انصداع الايوان ، او على شملهم حيث تشتت •

« والنهر » الذي به قيامهم •

« ساهي العين » تلك الليلة ، اي ساكن عن الجريان •

« من » أجل • « سدم » اي حزن علـى ذلك ايضا او حيرة منه وعـين النهر •

ونفس النار من قبل الاستعارة بالكنايـة التخييلية وذكر التأسف والسهو من التخيل المسمى بحسن التعليل (١) كقوله :

٦٤

وما نزل الغيثُ إلا لِكَيْ يُقَبِّلَ[٢] بَيْن يَدَيْكَ الثَّرى

٦٥

وَساءَ «ساوَةَ» أنْ غاضَتْ بُحَيْرتُها وَرُدَّ وارِدُها بالغَيْظِ حينَ ظَمي

« وساء ساوة » وهي مدينة بين همذان(٣) والري ، من مدنهم ، اي :

هلك واحد منهم قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته وزادوا الهاء في التابعة لارادة النسب ، وقيل كـان ملك اليمن لا يسمى تبعا حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير .

(١) حسن التعليل في البلاغة هو : ان يدعى لحكم علة مناسبة لكنها

(٢) في الاصل : « بكى مقبل » .

(٣) في الاصل : « همدان » .

أحزن اهلها •

« أن غاضت بحيرتها » بضاد معجمة ، اي نقصت ، قيل وبصاد مهملة اي غارت (١)• والمراد ذهب ماؤها تلك الليلة وبحيرة ساوة عظيمة، طولها ستة اميال ، وعرضها كذلك ، فتصغيرها للتعظيم ، وقد كان حولها بيع وكنائس ومتنزهات ، فخرجت من غيضها •

« ورد » بالبناء للمفعول وهو •

« واردها » اي وارد البحيرة للاستقاء من مائها •

« بالغيظ » اي بما يغيظه اي يغضبه (٢) وفي نسخة •

« بالغيض » بالضاد ، اي بسبب غيضها ، فالباء عليها للسببية ، وعلى الاول للمصاحبة •

«حين ظمي» والياء منقلبة عن الهمزة ، اي عطش ولم يجد فيها ماء•

٦٦

كَأَنَّ بالنَّارِ ما بالماءِ مِنْ بَلَلٍ … حُزْناً وبالماءِ ما بالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

« كأن بالنار ما بالماء من بلل » لبردها •

« حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم » اي التهاب لحرقته وذهابه في تخوم الارض حزنا ايضا •

واللام (٣) في النار والماء للعهد اي نار الفرس وماء البحيرة ، ويجوز أن يكون للجنس على معنى أنه تبدلت الصفات واستحالت الالطفيات وقل جاء الحق (٤) وزهق الباطل (٥) وفيه شيء • وما في الموضوعين موصولة • ومن في الموضعين للبيان •

---

(١) جاء في حديث سطيح في اعلام النبوة : وخمدت نار فارس ، وغارت بحيرة ساوة ، وفاض وادي سماوة، فليست الشام لسطيح شاما.
(٢) في الاصل : « يعضبه » .
(٣) اي « ال » التعريف ، وهذا معروف في اصطلاحات النحويين .
(٤) في الاصل : « وجاء الحق » ، وهذا من سهو الناسخ .
(٥) سورة الاسراء / ٨١ .

٦٧

والجنُّ تَهْتِفُ والأنوارُ ساطِعَةٌ   والحَقُّ يَظهَرُ مِن مَعْنىً وَمِن كَلِمِ

« والجن تهتف » لولادته ليلتها او بما يشهد باصطفائه ونبوته ، اي تتكلم من حيث لا ترى ، او المراد بالجن من يسترق السمع من الشياطين لما منعوا بالشهب . أعلم الكهنة انهم انما صنعوا لامر مهول هائل .

« والانوار » فيها . « ساطعة » اي ظاهرة مرتفعة أضاء لها قصور الشام ، او المراد بـ الانوار النور الذي كان يظهر في جبين من هو في صلبه ، جمع باعتبار المحل .

« والحق » وهو امر النبي صلى الله عليه وسلم .

« يظهر من معنى » لكلام قارن ولادته .

« ومن كلم » اي كلام بها كما تقدم .

٦٨

عَمُوا وَصَمُّوا فإعْلانُ البشائِرِ لَمْ   يُسمَعْ وبارِقَةُ الإنْذارِ لَمْ يُشَمِ

« عموا وصموا » ببنائهما للفاعل او للمفعول ، اي الكفار عن ذلك حيث جحدوا نبوة النبي ، صلى الله عليه وسلم .

« فاعلان البشائر » المذكورة به ، صلى الله عليه وسلم .

« لم يسمع » لهم سماع قبول . وفي نسخة لم تسمع بالتاء الفوقية وان كان الضمير للاعلان نظرا للمضاف اليه ، وهو صحيح ، والاول أصح . والبشائر جمع بشارة ، وهي الخبر المعروف للسرور ، ويستعمل بما يورث الهم تهكما .

« وبارقة » اي لوامع .

« الانذار » به .

« لم يشم » لهم بالمعجمة ، اي لم ينظروها لعدم التفاتهم اليها . يقال شام فلان البرق نظر اليه .

٦٩

مِنْ بَعْدِ ما أَخْبَرَ الأَقْوامَ كاهِنُهُم بِأَنَّ دينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

« من بعد » تنازعه عموا وصموا •

« ما » مصدرية •

« اخبر الاقوام » الذين عموا وصموا •

« كاهنهم » أي كل كاهن لهم لما علموه •

« بأن دينهم » الذي هم عليه •

« المعوج لم يقم » بالبناء للمفعول او للفاعل ، اي لا قيام له مع وجود النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بل يكسر ويضمحل •

٧٠

وَبَعْدَ ما عايَنوا في الأُفْقِ مِـــنْ شُهُبٍ

مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ ما في الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

« و » أخبروا بذلك ايضا •

« بعد ما عاينوا » اي شاهدوا •

« في الافق » باسكان الفاء لغة في ضمها اي السماء •

« من شهب » جمع شهاب ، وهي شعلة نار ساطعة •

« منقضة » اي نازلة على الشياطين المسترقين للسمع من الملائكة في السماء ليلة ولادة النبي ، صلى الله عليه وسلم •

« وفق » منصوب بنزع الخافض اي على وفاق •

« ما في الارض مــن صنم » اي جنس الصنم في سقوطــه تلك الليلة و بعد مجرور عطفا على بعد قبله ، او منصوب عطفا على محله •

و ما في الموضعين موصولة او نكرة موصوفة • و من بيان لها •

ولم تزل الشهب تنقضُّ على الشياطين •••

٧١

حتّى غدا عنْ طريقِ الوَحي مُنْهَزِمٌ
مِـــنَ الشَّياطين يَقفو إثرَ مُنْهَزِمِ

« حتى غدا » بغين معجمة ، اي ذهب .

« عن طريق الوحي » وهي السماء ، وكان للشياطين بهـا مقاعد للسمع .

« منهزم » فاعل غدا .

« من الشياطين » صفة .

« يقفو » (١) اي يتبع .

« اثر منهزم » منهم ، اي وهلمّ جرا لتتابع (٢) الشهب المنقضة عليهم ، ولم يعهد الكفار ادراك مثل ذلك التتابع ...

٧٢

كَأنَّهُمْ هَرَباً أبطالُ « أبرَهَـــةٍ »
أوْ عَسكَرٌ بالحصى مِنْ راحَتَيْهِ رُمي

« كأنهم » اي الشياطين .

« هربا » تمييز (٣) او حال اي من جهة هربهم ، اي في حال هربهم اي فرارهم من الشهب .

« ابطال » اي شجعان .

« ابرهة » بصرفه للوزن ، وهو بفتح الهمزة والراء ، ملك اليمن وبنى (٤) بصنعاء كنيسة ليصرف اليها الحاج ، فأحدث رجل من كنانة فيها ، ولطّخ قبلتها بالعَذِرة (٥) فحلف أبرهة ليهدمنّ الكعبة ، فجاء

---

(١) في الاصل : « يقفوا » .
(٢) في الاصل : « التتابع » .
(٣) في الاصل : « تمييزا » .
(٤) في الاصل : « بنا » .
(٥) في الاصل : « العدرة » ، والعذرة هنا الغائط .

بجيشه وفيل عظيم مع أفيال الى مكة ، فحين تهيؤوا (١) للدخول والهدم غشي عليهم وولوا هاربين ، ورموا بحجارة من سجيل ، قال تعالى : ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل (٢) الى آخرها • وفي سنة الفيل كان مولده ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاثنين لاثنتي عشرة (٣) ليلة خلت من ربيع الاول • وعطف على أبطال قوله •

« او عسكر بالحصى من راحتيه » اي باطنـي كفي (٤) النبي ، صلى الله عليه وسلم •

« رُميَ » فهرب من رمى النبي ، صلى الله عليه وسلم •

وقد دخل في عين كـل رجل منهم شيء مـن الرمي ، وذلك في غزوة بدر ، رواه البخاري وفي غزوة حنين ، رواه مسلم ، وهذا مـن المعجزات وقصة الفيل من الارهاصات • والحاصل انه شبّه الشياطين – في نفرتهم وتبدد شملهم – بأبطال أبرهة او بالعسكر المذكور •

٧٣

نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِما   نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشاءِ مُلْتَقِمِ

« نبذاً به » اي رميا بالحصى •

« بعد تسبيح » منه •

« ببطنهما » اي في باطن الراحتين •

« نبذ المسبح من احشاء » اي انضمت عليه ضلوع حوت •

« ملتقم » له ، وهو يونس ، عليه الصلاة والسلام قال تعالى : فالتقمه الحوت وهو مليم (٥) الى قوله : سقيم (٦) وقال تعالى عنـه :

---

(١) الاصل : « تهيؤا » .

(٢) سورة الفيل ١٠٥ / ١ .

(٣) في الاصل : « لاثني عشر » .

(٤) في الاصل : « كف » .

(٥) سورة الصافات ٣٧ / ١٤١ .

(٦) اي قوله تعالى بعد ذلك « فلولا انه كان من المسبحين » للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم ١٤٢ – ١٤٤ .

فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك أنى كنت من الظالمين (١)

والقصد تشبيه نبذ النبـي ، صلى الله عليه وسلـم ، بالحصى المسبح العسكر ، فهرب منكسرا بنبذ الله يونس مـن بطن الحوت حيا في أن كلا (٢) منهما خارق في العادة وتسبيح الحصى في كف النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثابت في أحاديث كثيرة ، وليس ني شيء منها تصريح بآلة الرمي ، فانه وقف على ذلك ، والا فمقصوده بعـد تسبيح بجنس الحصى في محل آخر .

---

(١) سورة الانبياء : ٢١ / ٨٦ .

(٢) في الاصل : « كل » .

القسم الخامس

التحدث عن معجزاته

٧٤

جاءتْ لِدَعْوَتِهِ الأشجارُ ساجدةً تَمشي إليهِ على ساقٍ بلا قَدَمِ

« جاءت لدعوته الاشجار » اي لندائه (١) لها .

« ساجدة » اي خاضعة .

« تمشي اليه على ساق بلا قدم » يعينها على المشي . قال تعالى : والنجم والشجر يسجدان (٢) والشجر ماله ساق والنجم ما لا ساق له من النبات .

٧٥

كأنّما سَطَرَتْ سَطْراً لِما كَتَبتْ فُروعُها من بديعِ الخطِّ في اللَّقَمِ

« كأنما » هو استئناف او حال من فاعل يمشي ، و ما كافة .

« سطرت » اي خطت .

« سطرا لما » اي للذي .

« كتبت فروعها من بديع الخط في اللقم » بفتح اللام والقاف . وفي نسخة باللقم ، والباء بمعنى في ، وهو وسط الطريق ومن بيان ما ، و بديع الخط من اضافة الصفة للموصوف . شبه آثار فروعها في الارض بالخط بجامع حصول الفائدة للمعتبر والمتدبر . روي أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، آية ، فقال : قل لتلك الشجرة : رسول الله يدعوك ، فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها ، فقطعت عروقها ، ثم جاءت تجر عروقها حتى وقفت بين يديه ، فقالت : السلام عليك يا رسول الله . قال الأعرابي : فمرها فلترجع الى منبتها : فرجعت، ودلّت عروقها في منبتها فاستوت فيه . ذكره صاحب الشفاء وغيره . وروى مسلم عن جابر في حديثه الطويل آخر الكتاب : ذهب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقضي حاجته ، فنظر فلم ير شيئا يستتر فيه فاذا بشجرتين (٣) بشاطىء الوادي فانطلق الى احداهما فقال :

---

(١) في الاصل : « لندائها » .

(٢) سورة الرحمن ٥٥ / ٦ .

(٣) في الاصل : « شجرتين » .

انقادي معي باذن الله تعالى ، فانقادت معـه حتى اتى الشجرة الاخرى ففعل بها مثل ذلك حتى اذا كان المنصف مما بينها لأمَ (١) بينهما فقال : التئما عليّ باذن الله فالتأمتا ، ثم بعد قضاء حاجته افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق . والمنصف بفتح الميم والصاد نصف المسافة .

٧٦

مِثْلَ الغمامَةِ أنّى سارَ سائِرَةً   تَقيهِ حَرّ وَطيسٍ للهجير حَمِي

« مثل » بالنصب حال ثانية ، او صفة مصدر محذوف ، وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ، اي مجيء الاشجار لدعوته مثل .

« الغمامة أنى » اي متى ، او كيف ، او اين .

« سار » وذلك ظرف لقوله .

« سائرة » بالنصب حال من الغمامة ، او بالرفع، اي وهي سائرة.

« تقيه » الغمامة بتظليلها له ، وهي حال اخرى او خبر ان لمقدر انّها (٢) او استئناف .

« حر وطيس » اي تنور .

« للهجير » وفي نسخة بالهجير اي نصف النهار الحار .

« حمي » صفة لـ وطيس يقال : حمي الوطيس اذا اشتد الحر .

والمعنى تقيـه حر الشمس في الهجير ، وتظليلها لـه وقع في سفر عمه أبي طالب به في ركب الى الشام تاجرا ، رواه الترمذي . قال شيخنا (٣): ونست على يقين (٤) من ثبوت هذا البيت في الرواية .

٧٧

أقسَمْتُ بالقَمَرِ المُنشَقّ أنّ لَهُ   مِنْ قَلْبِهِ نِسبَةً مَبرورَةَ القَسَمِ

« أقسمت » اي حلفت يمينا .

---

(١) في الاصل : « لاما » والتصويب من شرح الباجوري .

(٢) في الاصل : « انثا » ، والصحيح ما اثبتناه .

(٣) اما ان يكون هذا القول والا على ان الشارح ينقل عن شيخه او ان احد المتفقهين ينقل عن الشارح نفسـه ، وقد اثار هذا القول الشك حول وجود البيت في الرواية الاصلية .

(٤) في الاصل : « تعين » .

« بالقمر المنشق » للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : اقتربت الساعة وانشق القمر ، وان يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر مستمر (١) • وجواب القسم :

« ان له » اي للقمر المنشق •

« من قلبه نسبة » اي شبها بقلب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في انشقاق كل منهما مرتين •

« مبرورة القسم » صفة يمينا المقدرة ، دل عليها أقسمت • والقسم بالقمر موافق لقوله تعالى : والقمر اذا اتّسق (٢) وقوله تعالى : كلا والقمر (٣) ويحتمل انه أقسم بمضاف محذوف اي برب القمر •

٧٨

وما حَوى ٱلغارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وكُلُّ طَرْفٍ مِنَ ٱلكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

« وما » مجرور عطفا على القمر وجوابه مقدر ، او منصوب بمقدر اي أذكر ما جمع •

« حوى » اي جمعه •

« الغار من خير ومن كرم » يعني صفات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والصدّيق ، رضي الله عنه ، وصفهما او تكون ما بمعنى من ، والمراد ذاتهما الموصوفة بما ذكر و الغار نقب في جبل ثور (٤) بأسفل مكة ، ولبثا فيه حين أراد الهجرة ثلاث ليال مختفين من الكفار ، حتى انقطع طلبهم لهما ، وقد جاؤوا حول الغار ينظرون ، فأعماهم الله تعالى كما قال الناظم •

« وكل طرف » اي بصر •

« من الكفار عنه » اي عن المحويّ •

---

(١) سورة القمر ٥٤ / ١ ، ٢ .
(٢) سورة الانشقاق ٨٤ / ١٨ .
(٣) سورة المدثر ٧٤ / ٣٢ .
(٤) في الاصل : « تور » .

« عمي » هو اسم ، واثبات الياء لغة او للاطلاق او فعل ، وسكن الياء للوقف • قال ابو بكر الصديق ، رضي الله تعالى عنه : نظرت الى اقدامهم فوق رؤوسنا فقلت : يا رسول (الله) (١) لو ان احدهم نظر الى قدميه لأبصرنا ، فقال : ما ظنك باثنين الله ثالثهما • رواه الشيخان وفي التنزيل : ثاني اثنين اذهما في الغار ، اذ يقول لصاحبه : لا تحزن ان الله معنا (٢) •

٧٩

فَالصِّدْقُ في الغــار والصِّدِّيق لَمْ يَرِما

وهم يقولون : ما بالْغار مــن أرِمِ

« فالصدق » اي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مبالغة او هو على حذف مضاف اي فذو (٣) الصدق •

« في الغار والصدّيق » اي ابو بكر فيه •

« لم يرما » بكسر الراء اي لم يبرحا ، والاصل يريما حذفت الياء تبعا لحذفها فــي اسناده الى المفرد ولالتقاء الساكنين • والمعروف فــي مثله اثبات الياء وزان في قوله تعالى : فاستقيما (٤) •

« وهم » اي الكفار •

« يقولون ما بالغار من أرم » بفتــح الهمزة ، وكسر الراء ، اي احد • نظر الى حوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على فمه كما اشار اليه بقوله :

٨٠

ظَنُّوا ٱلحمام وظَنُّوا ٱلعَنْكَبوتَ عــلى

خَيْرِ ٱلبَرِيَّةِ لم تَنسجْ ولَمْ تَحُمِ

« ظنوا » أن •

---

(١) زيادة غير موجودة في الاصل .
(٢) سورة التوبة ٩ / ٤٠ .
(٣) في الاصل : « فذوا » .
(٤) سورة يونس ١٠ / ٨٩ .

« الحمام وظنوا » أن ،

« العنكبوت على خير البرية » اي الخلق بالهمز والمد ، وقد تقلب ياء وتدغم في الياء ، وقرىء بهما في السبع .

« لم تنسج » بفتح التاء وكسر السين او ضمها ، اي العنكبوت عليه .

« ولم تحم » اي لم تدر الحمام حوله ، ففي كلامه لف ونشر غير مرتب ، وسبب ما ذكر أن هذين الحيوانين لا يألفان عمرانا ، فمتى أحسا بانسان فرا منه ولم يعلم الكفار ان الله تعالى يحفظ من يشاء من عباده بما شاء من خلقه . كما اشار اليه الناظم بقوله :

٨١

وِقايَةُ ٱللهِ أغْنَتْ عَن مُضاعَفَةٍ

مِنَ ٱلدُّروعِ وعَن عالٍ مِنَ ٱلأُطُمِ

« وقاية الله » تعالى ، اي حفظه بهذين الضعيفين جدا من عدوه العظيم عددا ومددا .

« أغنت » اي كفت في حفظه من هذا العدو .

« عن مضاعفة من الدروع » بدال (١) مهملة ، اي عن الدروع المضاعفة ، وهي المنسوجة حلقتين .

« وعن عال » اي مرتفع .

« من الاطم » بضم الهمزة والطاء (٢) اي الحصون . قال الله تعالى : فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا الآية(٣) .

ثم استأنف الناظم ما اتصل به من قبل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال :

---

(١) في الاصل : « بذال » .
(٢) في الاصل : « وانطاء » .
(٣) سورة التوبة ٩ / ٤٠ .

٨٢

مَا ضَامَنِي ٱلدَّهْرُ ضَيْماً وَٱسْتَجَرْتُ بِهِ
إِلّا وَنِلْتُ جِواراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

« ما ضامني الدهر » هذا على عادة العرب ، او هو على حذف مضاف اي اهل الدهر ، اي ما ظلمني احد منهم .

« ضيما » وفي نسخة يوما اي زمنا . وفي اخرى ما سامني الدهر ضيما اي كلفنيه (١) .

« واستجرت به » صلى الله عليه وسلم .

« الا ونلت » اي أصبت .

« جوارا » بكسر الجيم وضمها ، اي قربا .

« منه » صلى الله عليه وسلم ، او الضمير من الضيم ان اريد بالجوار الخلاص .

« لم يضم » اي لم يحقر بل يحترم .

ثم عطف على جملة ما ضامني (٢) قوله :

٨٣

ولا ٱلْتَمَسْتُ غِنَى ٱلدَّارَيْنِ من يَدِهِ
الا ٱسْتَلَمْتُ النَّدى مِنَ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

« ولا التمست » (٣) اي طلبت .

« غنى الدارين » الدنيا والآخرة بالكفاية في الاولى والسلامة في الاخرى .

« من يده » اي نعمته وتفضله بالشفاعة وغيرها .

« الا استلمت الندى » بفتح النون، والقصد، اي اخذت العطاء .

« من خير مستلم » بفتح اللام ، اي مطلوب منه ، لانه صلى الله

---

(١) في الاصل : « كلفيته » .

(٢) في الاصل : « ماضين » .

(٣) في الاصل : « ولا التسمت » .

عليه وسلم ، لا يرد سائله كما ثبت في الصحيحين ، وبيـده خير الدنيا والآخرة • ان قيل : قد ثبت أن الحجر الاسود يمين الله ، فكيف يكون استلام يده ، صلى الله عليه وسلم ، خيراً من استلام الحجر ؟ قلنا : لان الله تعالى أقام يده ، صلى الله عليـه وسلم ، مقـام يده في البيعـة الايمانية حيث قال تعالى : ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم (١) • واما الحجر فانما أقامه مقـام يمينه في بعض مناسك الحج ، وهو الطواف •

ثم رجع الى بيان صفات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال :

٨٤

لا تُنْكِرِ ٱلْوَحْيَ من رُؤْياهُ إنّ لَهُ
قَلْباً إذا نَامَتِ ٱلْعَيْنانِ لَمْ يَنَمِ

« لا تنكر الوحي » وفي نسخة لا تنكروا الوحي •

« من رؤياه » له في النوم •

« ان له قلبا اذا نامت العينان » منه •

« لم ينم » اي قلبه ، وهو مهبط الوحي في النوم واليقظة • وفي الصحيحين حديث : ان عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي •

٨٥

وذاكَ حين بُلوغٍ من نُبُوَّتِهِ
فَلَيس يُنكرُ فيه حالُ مُحْتَلِمِ

« وذاك » وفي نسخة : فذاك اي رؤياه الوحي في النوم •

« حين » اي زمن •

« بلوغ » كائن •

« من نبوته » اي وصوله اليها ، وقد نُبِّيء على رأس اربعين سنة من عمره ، وهو حد مبدأ النبوة •

« فليس » اي الشأن •

« ينكر » بالبناء للمفعول •

---

(١) سورة الفتح ٤٨ / ١٠ .

« فيه » اي في الزمن المذكور •

« حال محتلم » من رؤياه الوحي في النوم • وقيل : هو متعلق بـ « بلوغ » • و المحتلم : البالغ والاول أقعد ، فهو المراد مع لمح المعنى الثاني •

٨٦

تَبارَكَ اللهُ ماوحيٌ بِمُكْتَسَبٍ   ولا نبيٌّ على غَيْبٍ بِمتَّهَمِ

« تبارك الله ما وحي بمكتسب » لأحد بعمل ، بل بفضل من الله تعالى : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١) •

« ولا نبي على غيب بمتهم » لعصمته اجماعا ، وقال تعالى : وما هو على الغيب بضنين (٢) اي بمتهم • والباء في الموضعين زائدة لتأكيد المعنى •

٨٧

كَمْ أبْرَأَت وَصِباً باللَّمس راحَتُهُ   وأطْلَقَتْ أرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

« كم » خبرية بمعنى كثيرا •

« ابرأت » اي شفت •

« وصبا » (٣) بكسر الصاد اي مريضا •

« باللمس » اي بسببه •

« راحته » اي بطن كفه المبارك •

« وأطلقت » اي راحته •

« أربا » بكسر الراء ، اي محتاجا الى الخلاص •

« من ربقة اللمم » بكسر الراء وسكون الموحدة وفتح اللام والميم، اي عقدة الجنون • وبعضهم ضبط وصبا و أربا بالفتح مرادا منهما المرض والجنون ، وهو صحيح ، والرواية على الاولى • روي أن امرأة

---

(١) سورة المائدة ٥ / ٥٤ .
(٢) سورة التكوير ٨١ / ٢٤ .
(٣) في الاصل : « اصبا » .

أتت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بابن لهـا به جنون ، فمسح بيـده المباركة صدره ، فثعّ ثعّة (١) بالمثلثة والمهملـة ، اي قاء (٢) ، فخرج منه من جوفه مثل الحبر الاسود (٣) وشفي .

وكان في كف شرحبيل (٤) الجعفي سلعة (٥) تمنعه من القبض على السيف وعلى الراية ، فطحنهـا ، صلى الله عليه وسلم بيـده المباركة ، فذهبت ولم يبق لها اثر . ذكره صاحب الشفاء وغيره مع وقائع كثيرة .

٨٨

وأحيَتِ السنّة الشّهباءَ دَعوتُهُ حتى حكَتْ غُرّةً في الأعصُرِ الدُّهُمِ

« وأحيت السنة الشهباء » يعني القليلة المطر لغلبة بيـاض الارض فيها (٦) بعدم النبات على سوادها بالنبات ، فهي بالنسبة الـى انبياض ميتة احيتها .

« دعوته » المباركة بالسقيا .

« حتى حكت » اي شابهت تلك السنة .

« غرة » اي بياضا .

« في الاعصر » جمع عصر وهو الزمن ، اي في الازمنة .

« الدهم » بضم الدال والهاء جمع ادهـم وهو الاسود . والمعنى في الازمنة السود لشدة خضرة الزرع فيها حتى يرى أنـه اسود مـن اخصابها ، وتلك السنة أخصب منها حتى كأنها غرة فيها ، وغرة كل شيء أحسنه .

٨٩

بعارضٍ جادَ أو خِلْتَ البطاحَ بها سَيبٌ مِنَ البحرِ أو سَيلٌ مِنَ العَرِمِ

« بعارض » متعلق بـ « حكت » او « أحيت » اي سحاب .

---

(١) ثـع : اي قاء ما اكله .
(٢) في الاصل : « ثـاء » .
(٣) في الاصل : « الجر » .
(٤) في الاصل : « سرجيل » .
(٥) سلعة : خراج في البدن او زيادة كالغدة فيه بين اللجلد واللحم .
(٦) في الاصل : « فيهما » .

« جاد » بالمطر الكثير .

« أو خلت » اي الى ان ظننت (١) .

« البطاح » جمع بطحاء او ابطح ، وهو الوادي المتسع المشتمل على حصباء .

« بها سيب » بفتح السين اي جري .

« من اليم » اي البحر .

« او » بها .

« سيل من العرم » أخذ من قوله تعالى : فأرسلنا (٢) عليهم سيلَ العرم (٣) وهو (٤) واد جمع بها سيب في موضع المفعول الثاني لـ خلت و أو بعدها للتخيير وقبلها بمعنى الواو او بمعنى الى كما أشرنا اليه . وسؤاله ، صلى الله عليه وسلم ، السقيا على المنبر يوم الجمعة ، فأمطروا (٥) الى الجمعة القابلة مشهور في الصحيحين وفي غيرهما . وفي نسخة سيبا و سيلا بالنصب فيكون مفعولا ثانيا ، ويتعلق بـ خلت، والضم للسنة .

---

(١) في الأصل : « ظننت » .

(٢) في الاصل : « وارسلنا » .

(٣) العرم : واحدها العرمة ، سد يعترض به الوادي . والعرم أسم واد ، او الاحباس تبنى في أوساط الاودية . والعرم : السيل الذي لا يطاق . والعرم : المطر الشديد .

(٤) سورة سبأ ٢٤ / ١٦ .

(٥) في الاصل : « ما مطروا » .

القسم السادس

التحدث عن القرآن الكريم

ثم قال مخاطبا لمنكر ينكر الآيات الظاهرة :

٩٠

دَعْني ووَصْفِيَ آياتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهورَ نارِ القِرى لَيْلاً على عَلَمِ

« دعني » اي اتركني ايها المنكر .

« ووصفي » اي ذكري (١) مفعول معه .

« آيات » مفعول وصفي (٢) .

« له ظهرت ظهور نار القرى » بكسر القاف ، اي الضيافة .

« ليلا على علم » أي جبل مرتفع لجلب الضيفان على عادة العرب في ذلك الذي هو غاية في الظهور .

٩١

فالدُّرُّ يَزْدادُ حُسْناً وهو مُنتَظِمٌ ولَيْسَ يَنْقُصُ قَدراً غيْرَ مُنْتَظِمِ

« فالدر » اي كبار اللؤلؤ المعلوم حسنه .

« يزداد حسنا وهو منتظم » في سلك .

« وليس » الدر .

« ينقص قدرا غير منتظم » كذلك آيات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، التي ظهرت غاية في الظهور يزداد ظهورها بذكرها ، ويزداد حسنها بنظمها الذي هو كنظم الدر كهذا الدر ، بخلاف نظمها على غير نظم الدر كنظم كثير من المدائح ، فانه لا يزيدها حسنا ، لكن لا ينقص قدرها الذي هو أعلى من قدر الدر .

٩٢

فما تَطاوُلُ آمالي ٱلمديحَ إلى ما فيهِ مِن كَرَمِ ٱلأخْلاقِ والشِّيَمِ

« فما تطاول آمالي » بياء المتكلم .

« المديح » منصوب بنزع الخافض روي باضافة « آمال

(١) في الاصل : « ذكر » .
(٢) في الاصل : « وصف » .

المديح » (١) كانحصار النية .

« الى ما فيه » صلى الله عليه وسلم .

« من كرم الاخلاق » اي كثيرة الصفات التي كل منها (٢) خُلق أي طبيعة له .

« والشيم » جمع شيمة وهي الخلق ، وعطف المرادف سائغ لاختلاف اللفظ كما في قوله تعالى : اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة (٣) ، ويجوز ان يريد بالاخلاق : الكسبيات ، وبالشيم : الغريزيات (٤) ، فلا ترادف ، والتطاول ان تمد عنقك قائما لتنظر الى بعيد . وما الاولى للاستفهام الانكاري . والمعنى أن تطاول آمالي بالمدح الى صفاته لا يصل اليها جميعها .

وهذه الآيات :

٩٣

آياتُ حقٍّ من الرَّحمنِ مُحْدَثَةٌ قديمةٌ صِفَةُ الموْصوفِ بالْقِدَمِ

« آيات حق » بالرفع مبتدأ خبره مقدر قبله ، اي من معجزات نبينا ، وبالنصب بدل من آيات له (٥) ، وما بعد المبتدأ والبدل الى قوله : وكالميزان معدلة (٦) صفات له ، وما بين الصفات من (٧) متعلقاتها وقيل في اعراب الابيات غير ذلك .

« من الرحمن » اي كائنة منه .

---

(١) في الاصل : « آمالي المديح » .

(٢) في الاصل : « منهما » .

(٣) سورة البقرة : ٢ / ١٥٧ .

(٤) الغريزيات : نسبة الى الفريزة ، وهي ـ كما يقول اللحياني ـ الاصل والطبيعة . وفي حديث عمر : « الجبن والجراة غرائز » اي اخلاق وطبائع صالحة او رديئة .

(٥) اي البيت الثامن والثمانون ، وهو :

دعني ووصفي آيات له ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم

(٦) اي البيت الثاني بعد المائة ، وهو :

وكالصراط وكالميزان معدلة فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

(٧) في الاصل : « عن » .

« محدثة » لفظا (١) .

« قديمة » معنى ، قال تعالى : ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون (٢) . وفي نسخة بدل محدثة « محكمة » قال تعالى : كتاب أحكمت آياته (٣) .

« صفة الموصوف بالقدم » وهو الله تعالى .

٩٤

لم تَقتَرِنْ بِزَمانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنا   عن ٱلمعادِ وعَنْ عادٍ وعَنْ إِرَمِ

« لم تقترن بزمان » من حيث معناها .

« وهي تخبرنا » حال من فاعل تقترن .

« عن المعاد » اي عن عود الخلق بعد اعدامهم . قال تعالى : وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده (٤) وعن احوال يوم القيامة وما بعده حرمان أهل (٥) الجحيم وعاقبة اهل النعيم .

« و » تخبرنا .

« عن عاد » وهم قوم هود ، قال تعالى حكاية عنهم : يا هود ما جئتنا ببينة الى آخر الآية (٦) .

« و » تخبرنا .

« عن ارم » وهي عاد اخرى قال تعالى : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الى آخره (٧) وعن غيرها من القرون الخالية واحوال اهلها الماضية .

---

(١) في الاصل : « لفظا » .
(٢) سورة الانبياء ٢١ / ٢ .
(٣) سورة هود ١١ / ١ .
(٤) سورة الروم ٣٠ / ٢٧ .
(٥) في الاصل : « حرما لاهل » .
(٦) سورة هود ١١ / ٥٣ ، وآخرها : وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين .
(٧) سورة الفجر ٨٨ / ٧ ، وبعدها : التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد ، الآيات ٨-١١ / ٩٢٨ .

٩٥

دامتْ لَدَيْنا فَفاقَتْ كُلّ مُعْجزَةٍ ... من النَّبيِّينَ إذْ جاءتْ ولَم تَدُمِ

« دامت » اي الآيات ، وهي ألفاظ القرآن التي وقع بها الاعجاز •

« لدينا » للهداية •

« ففاقت » اي علت شرفا •

« كل معجزة » كائنة •

« من النبيين اذ جاءت ولم تدم » اي تستمر ، فان معجزة كل نبي غير نبينا تنقضي بموته بخلاف معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى : لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (١) •

٩٦

مُحَكّماتٌ فما يُبْقينَ مِنْ شُبَهٍ ... لذي شِقاقٍ وما يَبْغينِ مِنْ حَكَمِ

« محكّمات » بفتح الحاء والكاف المشددة ، اي الآيات ، اي حكمها الله تعالى ، اي أتى بها ذوات حكم ودالة على الحكم اي على الحق قال تعالى : يس ، والقرآن الحكيم (٢) اي ذي الحكمة ، او دليل قاطع بالحكمة كالحي •

« فما » الفاء سببية •

« يبقين من شبه » جمع شبهة •

« لذي شقاق » اي لصاحب مخالفة الحق لظهور براهينها عليه ، ويجوز قراءة « حكم » بكسر الحاء جمع حكمة فانها اشتملت على جميع الحكم وحكمة لقمان فمن دونه دون حكمها• و من في الموضعين زائدة•

٩٧

ما حُورِبَتْ قَط إلّا عادَ من حرَبٍ ... أعدى ٱلأعادي إلَيْها مُلْقِيَ السَّلَمِ

« ما حوربت » اي عورضت •

---

(١) سورة فصلت ٤١ /٤٢ .

(٢) سورة يس ٧٦ / ٢١ .

« قط » بان ادعى الاتيان بمثلها وصح .

« الا عاد » اي صار او رجع .

« من حرب » بفتح المهملتين ، اي شدة ، وحقيقته سلب المال ويلزم المسلوب منه الشدة ، وقيل : ان الحرب لغة في الحرب .

« اعدى الاعادي » اي اشدهم عداوة على محاربتها .

« اليها ملقي السلم » بفتحتين ، اي الاستسلام والانقياد، اي رجع مستسلما منقادا لعجزه عن معارضتها ، وعدم ايمانه بالجائي بها عنده ، والاعادي جمع عدو . قال تعالى : « وألقوا اليكم السلم » (١) و «اليها» في البيت متعلق بـ « عاد » ان كان بمعنى « رجع » فان كان بمعنى « صار » تعلق « اليها » بـ « ملقي » .

٩٨

رَدَّتْ بلاغتُها دعوى مُعارِضِها رَدَّ الغيورِ يَدَ الجاني عَنِ الحُرَمِ

« ردت بلاغتها » اي صرفت فصاحتها وجزالتها .

« دعوى معارضها » الاتيان بمثلها .

« رد الغيور » اي كرد (٢) كثير الغيرة .

« يد الجاني عن الحرم » بضم الحاء وفتح الراء جمع « حرمة » ، اي عن حرم الغيور كامرأته واخته ، وذلك أشد الرد .

٩٩

لها معانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ وفَوقَ جَوْهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ

« لها » اي لتلك الآيات .

« معان كموج البحر في مدد » اي زيادة وذلك لا غاية له .

« وفوق جوهره » من لؤلؤ وغيره .

« في الحسن والقيم » للانتفاع بها اكمل الانتفاع .

و فوق معطوف على كموج صفة معان المرفوع ، ونصبه لازم على

---

(١) سورة النساء ٤ / ٩٠ .

(٢) في الاصل : « كرر » .

الظرفية ، وان كانت مجازية ونحوه في التنزيل :

وفوق كل ذي علم عليم (١) .

واذا كانت معاني الآيات كموج البحر في مدد .

١٠٠

فلا تُعَدُّ ولا تُحْصى عجائِبُها ولا تُسامُ على الإكْثارِ بالسَّأَمِ

« فلا تعد ولا تحصى » اى تحفظ .

« عجائبها » جمع عجيبة ، وهي الشيء العديم النظير والعزيز المثيل ، والاضافة للبيان ، اي العجائب التي هي معاني (٢) الآيات .

« ولا تسام » اي توصف .

« على » اي مع .

« الاكثار » لها الذي لا غاية له .

« بالسأم » لها بفتح الهمزة اي الملالة لحسن تلك المعاني ، او المعنى ان الآيات لا توصف بالملالة اذا كررت تلاوتها، هو المسك ما كررته يتضوع ، مناسبة يدل له ما بعده :

١٠١

قرَّتبها عَيْنُ قاريها، فَقلْتُ لَهُ: لَقدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ ٱللهِ فاْعْتَصِمِ

« قرت بها عين قاريها » بابدال همزتها ياء ساكنة اي سرت بها واطمأنت مما يسرها . يقال : قرت عينه اذا بردت بدمعة الحزن .

« فقلت له » اي لقارئها : والله .

« لقد ظفرت » اي فزت .

« بحبل الله » اي بما يوصلك الى دار كرامته .

« فاعتصم » اي استمسك به بان تعمل بمقتضاه .

١٠٢

إن تَتْلُهاخيفَةًمِنْ حَرِّ نارِ لَظىً أطْفَأْتَ لَظىً مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ

« ان تتلها » اي الآيات .

---

(١) سورة يوسف ١٢ / ٧٦ .

(٢) في الاصل : « معان » .

« خيفة » اي خوفا او خائفا .

« من حر نار لظى » اي جهنم ، ولك استعماله في اللفظين في البيت منونا وغير منون .

« اطفأت » عنك بالآيات حر وفي نسخة نار .

« لظى » بحيث لا تصل اليك .

« من » اجل .

« وردها » بكسر الواو اي مورد الآيات .

« الشبم » بفتح المعجمة وكسر الموحدة اي البارد مشبهها بالماء في ذلك لانها سبب حياة الارواح ، وهو سبب حياة الاشباح ، وجعل موردها وهو الفم كافيا في الاطفاء .

١٠٣ .

كأنَّها الحوْضُ تَبْيَضُّ الوُجوهُ بِهِ   من العُصاةِ وقدْ جاؤُوهُ كالحُمَمِ

« كأنها » اي الآيات .

« الحوض » اي الماء عبر عنه بمحله .

« تبيض الوجوه به » حال من الحوض .

« من العصاة » صفة للوجوه وبيان ان اريد بها الذوات .

« وقد جاؤوه » من النار حال من العصاة .

« كالحمم » بضم المهملة وفتح الميم ، جمع حمة (١) وهو حال من فاعل جاؤوه ، وجه الشبه أن آيات القرآن لما كانت تشفع في تاليها ، وقد جاء مسود الوجه من المعاصي فيبيض وجهه بشفاعتها فيه ، اشبه ماء الحوض الذي تبيض من العصاة ففي الصحيحين : فيخرجون منها (٢) فيلقون في نهر الحياة . وفي رواية : « فيصب عليهم ماء الحياة » اي فيذهب السواد عنهم ويظهر البياض .

---

(١) الحمم : هو الفحم ، واحدته حممة ، والحمم الفحم والرماد وكل ما احترق من النار .

(٢) في الاصل : « فيها » والتصويب من شرح الباجوري .

١٠٤

وكالصِّراطِ وكالْميزانِ مَعْدِلَةً   فالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِها في الناسِ لَمْ يَقُمِ

« وكالصراط » (١) معطوف على جملة التشبيه عطف صفة على صفة ، اي آيات حق الصراط (٢) اي الطريق في الوصول الى المقصود .

«وكالميزان معدلة» اي عدلا اي استقامة، وهو تمييز من الذي(٣) قبله .

« فالقسط » اي العدل .

« من غيرها » اي الآيات .

« في الناس لم يقم » لا يقال بل يقوم من غيرها كالسنة والاجماع، لانا نقول : غيرها راجع اليها بواسطة او دونه ، قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٤) وسند الاجماع ونحوه الكتاب والسنة ولو بوسط .

١٠٥

لا تَعْجَبَنْ لِحَسودٍ راحَ يُنكِرُها   تجاهُلا وَهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ

« لا تعجبن » بنون توكيد خفيفة .

« لحسود راح » اي ذهب ، والحال انه .

« ينكرها » اي الآيات .

« تجاهلا » بنصبه (٥) مفعولا له او تمييزا او حالا من فاعل ينكرها اي متجاهلا بها ، اي مظهرا للجهل .

« وهو » اي والحالة ان الحسود .

« عين الحاذق » بذال معجمة ، اي الماهر .

« الفهم » اي الشديد الفهم بما اشتملت عليه من انواع الاعجاز الدال على صدق النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الجائي بها من الله

---

(١) في الاصل : « وكالصراط » .
(٢) في الاصل : « الصراط » .
(٣) في الاصل : « الذين » .
(٤) سورة الحشر : « ٥٩ / ٧ » .
(٥) في الاصل : « بنصب » .

تعالى ، فانكارها المكذب له عناد دعا اليه الحسد له على نعمة الرسالة ، فلا عجب في انكارها للحسد ، فان الموجـود الواضح قد ينكسر لامر كما في قوله :

١٠٦

قَدْ تُنكِرُ ٱلعَيْنُ ضَوْءَ الشَمْسِ مِنْ رَمَدٍ

وَيُنكِرُ ٱلفَمُ طَعْمَ ٱلماءِ مِنْ سَقَم

« قد تنكر العين ضوء الشمس » اي تنفي وجوده .

« من » أجل .

« رمد » بها يظنه غير مانع من الرؤية .

« وينكر الفم طعم الماء من » أجل .

« سقم » اي مرض به يظنه غير مانع مـن الاستطعام ، مـع ان الضوء والاطعام من اصل البديهيات ، والعين والفم قد ادركاهما دفعات.

القسم السابع

التحدث عن الإسراء والمعراج

١٠٧

يا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العافُونَ ساحَتَهُ　　سَعْياً وفَوْقَ مُتونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

« يا خير من يمم العافون » اي قصد الطالبون للمعروف ، جمع عاف •

« ساحته » اي حريم داره الواسع •

« سعيا » حال بمعنى ساعين بمعنى مسرعين في المشي •

« و » راكبين •

« فوق متون » اي ظهور ، جمع متن •

« الاينق » جمع ناقة ، واصله أنوق ، قدمت الواو ، ثم قلبت ياء تخفيفا •

« الرسم » بضم الراء والسين ، جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثر في الارض من شدة الوطء •

١٠٨

ومَنْ هُو الآيةُ الكُبرى لِمُعْتَبِرٍ　　ومَنْ هُو النِّعْمَةُ العَظْمى لِمُغْتَنِمِ

« ومن هو الآية الكبرى » اي التي هي اعظم الآيات •

« لمعتبر » يتأمل ويتفكر •

« ومن هو النعمة العظمى » اي التي هي اعظم النعم •

« لمغتنم » لها ، اي يتخذها غنيمة ، والآية العلامة الصادقة بالدليل يعتبر بها من يريد ان يعرف الحق من الباطل • والنعمة بمعنى المنعم به ، وهو ، صلى الله عليه وسلم ، اكبر الآيات وأعظم النعم ، لانه دال على الحق ، مغتنم في جميع ما أتى به قال تعالى : وانك لتهدي الى صراط مستقيم (١) اي (٢) تدل على دين الاسلام • (وقال تعالى أيضا) (٣) : وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (٤) اي ذا رحمة لهم •

---

(١) سورة الشورى ٤٢ / ٥٢ .
(٢) في الاصل : « أن » .
(٣) زيادة غير موجودة اقتضاها توضيح النص .
(٤) سورة الانبياء ٢١ / ١٠٧ .

وجواب النداء (١) قوله :

١٠٩

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إلى حَرَمٍ
كما سَرَى البدرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

« سريت من حرم » اي سرت .

« ليلا » اي فيه من حرم مكة .

« الى حرم » يريد المسجد الاقصى . قال تعالى : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » (٢) ، ومن أسرى به الله فقد سرى ، وأطلق على المسجد الاقصى حرما توسعا ، وانما الحرمان لمكة والمدينة ، الا ان يراد بالحرم الموضع المحترم ، وذكر الليل مع السرى في النظم و (سورة) الاسراء (٣) في الآية اللذين لا يكونان الا بالليل ، قال الجوهري : للتأكيد ، والزمخشري : للاعلام بأنهما في جزء من الليل بقرينة تنكيره ، لانه للتقليل ، اي سريت في بعضه ، وقد اعترض عليه بأن دلالة التنكير على التقليل انما هو باعتبار الزائد لا البعضية ، فالمراد في ليلة واحدة ، والبعضية انما تعلم من شيء آخر .

« كما سرى البدر » ما مصدرية ، اي كما سرى القمر ليلة كماله .
« في داج » كائن .

« من الظلم » اي في ليل مظلم . يقال : دجا الليل ، اذا اظلم ، فهو داج ، ووجه الشبه سرعة السير ، وتمام الخلقة ، وكمال الاثارة ، وفيه اشارة الى أنه كان بجسده الشريف وفي يقظة ، كما هو مذهب الجمهور . وكان المعراج ليلة الجمعة السابعة والعشرين من شهر رجب كما عليه الاكثرون .

---

(١) في الاصل : « النداء » .
(٢) سورة الاسراء ١٧ / ١ .
(٣) في الاصل : « الاسرى » .

١١٠

وَبتَّ تَرْقى إلى أنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ لم تُدْرَكْ ولَم تُرَمِ

« وبت » وفي نسخة فبت بفاء العطف ، وفي أخرى فظلت .

« ترقى » اي تصعد ليلة الاسراء منازل العلو باختراق السموات كما سيأتي (١) .

« الى ان نلت منزلة » اي مرتبة .

« من » للبيان .

« قاب » اي قدر .

« قوسين » طولا في القرب من الله تعالى ، كما قال تعالى : ثـم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى (٢) اي أنه في القرب منـه كقرب الواحد من آخر بقدر قوسين او اقل لاقرب مكان ، لانه تعالى منزه عنه بل قرب تشريف وتقريب منزله . واصل تعبير بـ قاب قوسين في القرب، كما قال بعضهم انه كان من عادتهم اذا أرادوا عقد مودة ان يمد احدهم قوسه ويوصلها الى قوس صاحبه ممدودة .

« لم تدرك » تلك المنزلة .

« ولم ترم » اي لم يصلها احد غيرك ، ولم يطلبها .

١١١

وقَدَّمَتْكَ جميعُ الأَنْبياءِ بِها
والرُّسْلِ تَقْديمَ مَخْدومٍ على خَدَمِ

« وقدمتك جميع الانبياء » عليهم الصلاة والسلام .

« بها » اي بسبب تلك المنزلة .

« و » قدمتك ايضا جميع .

« الرسل » بها باسكان السين ، ونسب التقديم اليهم ، وان كان

---

(١) في البيت العاشر بعد المائة ، وهو قول الشاعر :
وانت تخترق السبع الطباق بهم ... في موكب كنت فيه صاحب العلم
(٢) سورة النجم ٥ / ٩ .

الله تعالى هو المقدم لرضاهم به وانت (١) الضمير في « قدمتك » باعتبار المضاف اليه ، ومعنى جميع .

« تقديم » بالنصب مصدر شبه به اي كتقديم .

« مخدوم على خدم » في المنزلة ، وعطف الرسل على الانبياء من عطف الخاص على العــام .

١١٢

وأنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ ۞ في مَوْكِبٍ كُنْتَ فيهِ صاحِبَ الْعَلَمِ

« وأنت » اي والحال انك .

« تخترق » السموات .

« السبع الطباق » اخذ مــن قوله تعالى : سبع سموات طباقا (٢) اي بعضها فوق بعض مارا . « بهم » بالانبياء والرسل ، ففي خبر الاسراء في مسلم (٣) أنه مر في السماء الدنيا بآدم ، وفي الثانية بعيسى ويحيى، وفي الثالثــة بيوسف ، وفي الرابعة بادريس ، وفي الخامسة بهارون ، وفي السادسة بموسى ، وفي السابعة بابراهيــم ، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين . فقول الناظم :

جميع الانبياء و الرسل اي الذيــن لقيهم ، ويمكــن ان لا يقيد بذلك ويكونوا هم قد لقوه ، صلى الله عليه وسلم ، بأرواحهم ، او بها مع أجسامهم . وفي بعض الاخبار ما يدرك لذلك .

« في موكب » بكسر الكاف ، اي جمع عظيم بهيبة (٤) عظيمة .

« كنت فيه صاحب العلم » اي كبير القوم المشار اليــه ، والعلم الرمح في رأسه راية ، ومن شأنــه ان يشار اليــه . وقد كــان جبريل يستفتح في كل سماء ، فيقال له : ومن معك ؟ فيقول : محمد .

---

(١) في الاصل : « وانت » بالمثناة من فوق .
(٢) سورة الملك : ٦٧ / ٣ .
(٣) اي في صحيح مسلم .
(٤) في الاصل : « بهيبتة » .

١١٣

حَتّى إذا لَمْ تَدَعْ شأْواً لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ الدُّنُوِّ ولا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ

« حتى اذا لم تدع شأوا » اي تترك غاية .

« لمستبق » اي ساع ليسبق .

« من الدنو » اي القرب .

« ولا مرقى » (١) اي موضع وفي اي درجة .

« لمستنم » اي طالب رفعة ، من استنم اي علا . وحتى حرف غاية لاختراقه . و اذا ظرفية مجازية ، اي : وانت تخترق السبع الطباق الى مقام القرب لم تترك فيه ما ذكر ، بل تجاوزت الى أعلى مقامات القرب ، وهو المعبر عنه فيما مر بـ قاب قوسين .

١١٤

خَفَضْتَ كُلَّ مقامٍ بالإضافَةِ إذ ... نُوديتَ بالرَّفعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

« خفضت » جواب اذا ان جعلت شرطية ، او بدل لم تدع اذا جعلت ظرفية .

« كل مقام بالاضافة » الى مقامك .

« اذا نوديت » من قبل الله تعالى : يا محمد أدنُ أدنُ .

« بالرفع » الى مقام قاب قوسين الذي لم يصله غيرك .

« مثل المفرد العلم » اي المشار اليه فيما افرد به من بين افراد صنفه .

١١٥

كَيْما تفوزَ بِوَصْلٍ اي مُسْتَتِرٍ ... عن العُيونِ وسِرٍّ أيِّ مُكْتَتَمِ

« كيما تفوز » بالنصب بـ ان مقدرة و كي بمنزلة لام التعليل وبمعنى على و ما مصدرية او زائدة ، ومجموع ذلك على غايته كـ سريت و بت الى آخره . ـ

وقيل: بـ نوديت اي فعلت ذلك منتهيا الى منزلة قاب قوسين لتفوز ،

---

(٢) في الاصل : « مرقا » .

« بوصل » من الله تعالى •

« اي مستتر عن العيون وسر اي مكتتم » عن الخلق بجر (١) اي في الموضعين ، صفة لما قبلها ، دالة على معنى الكمال ، اي بوصل كامل لرام في الاستتار ، وسر (٢) كامل في الاكتتام • قال تعالى فأوحى الى عبــده ما اوحى (٣) •

١١٦

فَحُزْتَ كُلَّ فَخارٍ غَيْرَمُشْتَرِكٍ وَجُزْتَ كُلَّ مقامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

« فحزت » بحاء مهملة وزاي ، اي جمعت •

« كل فخار » اي ما يفتخر به من الفضائل •

« غير مشترك » فيه •

« وجزت » بجيم وزاي ، اي عبرت •

« كل مقام غير مزدحم » فيه ، بفتح الحاء ، وغير فــي الموضعين منصوب او مجرور صفة لما اضيف اليه كل •

١١٧

وَجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ[٤] مِنْ رُتَبٍ وَعَزَّ إِدْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

« وجل » اي عظم •

« مقدار ما وليت » بالبناء للمفعول ، اي اعطيت •

« من نعم » جمع نعمة بمعنى منعم به ، اي امتنع واستقصى (٥) ادراكه بكماله •

---

(١) في الاصل : « يجر » .
(٢) في الاصل : « سو » .
(٣) سورة النجم ٥٣ / ١٠ .
(٤) في الاصل : « اوليت » .
(٥) في الاصل : (واستعمى) .

١١٨

بُشْرى لنا مَعْشر الإسْلام إنّ لنا   من العناية رُكْناً غير مُنهدِمِ

« بشرى » من البشارة ، وهو الخبر السار ، فهي في معنى نكرة موصوفة مبتدأ ، ويجوز ان تكون خبرا والمبتدأ محذوف ، اي هــذه التسمية ، وقوله :

« لنا » خبر على الاول ، وصفة على الثاني .

« معشر الاسلام » اي جميع المسلمين ، بالنصب على الاختصاص او النداء ، وبين البشرى او المنادي له بقوله :

« ان لنا من العناية » بنا في الازل .

« ركنا » عظيما .

« غير منهدم » اي شريعة باقية غير منسوخة . والركن ما يعتمد عليه ، والانهدام التغير (١) .

١١٩

لّما دعا الله داعينا لِطاعَتِهِ   بِأكْرَمِ الرُّسْل كُنّا أكْرَمَ الأُمَمِ

« لما دعا (٢) الله » اي سمّى .

« داعينا » اي النبـي ، صلى الله عليـه وسلم ، مفعـول اول لـ « داع (٣) » سكنت ياؤه ضرورة ، وقد جاء في غير الضرورة كقولهم: أعط القوس باريها .

« لطاعته » متعلق بـ داعينا او بـ دعا .

« بأكرم الرسل » مفعول ثان لـ داع (٤) . وقيل داعينا . بدل من فاعل دعا فهو الله تعالى ، وجواب لما .

« كنا اكرم الامم » عند الله تعالى ، لان شرف الامة بشرف نبيها. قال تعالى : كنتم خير امة (٥) اي انتم خيرها .

---

(١) في الاصل : (التغيير) والتصويب من شروح البردة .
(٢) في الاصل : (دعى).
(٣) في الاصل : « داعي » .
(٤) في الاصل : « داعى » .
(٥) سورة آل عمران : ٣ / ١١٠ .

القِسمُ الثامِن

التحدّث عن جهاد الرسول وغزواته

١٢٠

راعتْ قُلوبَ العِدا أنباءُ بَعْثَتِهِ   كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ ٱلْغَنَمِ

« راعت » براء وعين مهملتين (١) ، اي افزعت .

« قلوب العدا » بكسر العين وضمها (٢) ، والقصد جمع عدو ، أي (٣) الكفار (٤) .

« انباء بعثته » اخبار رسالته لغفلتهم عنها حالة كونها .

« كنبأة » اي زأرة(٥) للاسد .

« اجفلت » بجيم ، اي افزعت .

« غفلا » بضم العين المعجمة ، جمع (غافل) (٦) او اغفل كبازل وبزل .

« من الغنم » فأسرعت في الحرب منها ولو لم تكن غافلة لما جفلت منها . كذلك الكفار لو كانوا ملتفتين الى بعثة النبي ليؤمنوا بها ما فزعوا منها ، وفي خبر الصحيحين : ونصرت بالرعب مسيرة شهر وروى الطبراني : نصرت بالرعب شهرا امامي وشهرا خلفي . ويقاس بهما اليمين والشمال ، فيكون المراد بالخبر الاول شهرا من اي جهة كان بها العدو من الجهات الاربع .

١٢١

ما زالَ يَلْقاهُم في كُلِّ مُعْتَرَكٍ   حتى حَكوا بالْقنا لَحْماً على وَضَمِ

« ما زال يلقاهم » بالضم والاشباع .

(١) في الاصل : « مهملة » .
(٢) في الاصل : « وصمها » .
(٣) في الاصل : « عدادى » .
(٤) في اللسان : قوم عدا اذا كانوا متباعدين لا ارحام بينهم ولا حلف ، و قوم عدا اذا كانوا حربا ، وقد روي بالكسر والضم مثل « سوى و سوى » الاصمعي : يقال : هؤلاء قوم عدا مقصور ، يكون للاعداء والغرباء، ولا يقال قوم عدا الا أن تدخل الهاء فتقول : عداة في وزن قضاة.
(٥) في الاصل : « زارة » بتسهيل الهمزة على اسلوب القدماء .
(٦) زيادة مستدركة اقتضاها سياق النص سقطت سهوا .

« في كل معترك » بفتح الراء اي مكـان الاعتراك ، اي ازدحام الحرب .

« حتى » غاية للقائه ايـاهم .

« حكوا » اي شابهوا .

« بالقنا » بالقصر جمع قناة ، وهي الرمح اي بسبب طعنهم له .

« لحما » كائنا .

« على وضم » بمعجمة ، وهو ما يضع القصّاب (١) اللحم عليه ، معدا لمن يأخذه ، اي انه ، صلى الله عليه وسلم ، جاهـد الكفار حتى تركهم قتلى معدين لاكل السباع والطيور لحومهم ، وفيه اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم ، نبي الملحمة (٢) .

١٢٢

وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يُغْبَطُونَ بِهِ ... أَشْلاءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبَانِ وَالرَّخَمِ

« ودوا الفرار » منه ، صلى الله عليه وسلم ، اي تمنوه .

« فكادوا يغبطون » بالبناء للفاعل .

« به » الباء للسببية او بمعنى في والضمير للفرار .

« أشلاء » بفتـح اوله ومنع صرفه للوزن ، جمـع . شلو بكسر الشين وهو العضو .

« شالت » اي الاشلاء ، اي ارتفعت .

« مع العقبان » بكسر العين .

« والرخم » جمع عقاب ، و رخمة نوعان (٣) من الطير ، يقعـان على الميتات ، يأكلان منها ، ويحملان لافراخهما . وجملة ودوا مستأنفة. والغبطة تمن أن يحصل له مثل ما حصل لغيره من غـير أن يريد زوال

---

(١) القصاب : هو الجزار .

(٢) نبي الملحمة : اورد اللغويون في تفسير ذلك قولين ، احدهما : نبي القتال ، وهو كقولـه فـي الحديث الشريف بعثت بالسيف وثانيهما نبي الصلاح وتأليف الناس كأنه يؤلف امر الامة .

(٣) في الاصل : (نوعين) وربما كانت فـي الاغلب : النوعين بزيادة اللام الجارة .

ذلك عنه ، اي قاربوا ان يتمنوا ان يحصل لهم مثـل ما حصل لأعضاء ارتفعت بها الطيور ليتخلفوا عن جهاد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لهم.

١٢٣

تَمْضي اللَّيالي ولا يَدرُون عِدَّتها ... مالَمْ تَكُنْ من ليالي الأشْهُرِ الحُرُمِ

« تمضي » اي تذهب عليهم .

« الليالي ولا يدرون » اي يعلمون .

« عدتها » من شدة همومهم بجهاد النبي ، صلى الله عليه وسلم .

« ما لم تكن من ليالي الاشهر الحرم » ذي القعدة ، وذي الحجة ، والمحرم ، ورجب ، فانهم يدرونها ، وعدَّتها بامساك النبي صلى الله عليه وسلم ، عن القتال فيهـا . والمراد بـ (الليالي) وايامهـا ، اي مطلـق الاوقات ، وانما ذكر الليالي لان مقاساة (٢) ذوي المحن والاحزان في الليالي تكون أشد منها في الايام ، لانه وقت الفكر وقلق النفس وتفاقم البؤس .

١٢٤

كأنَّما الدينُ ضَيفٌ حلَّ ساحَتَهُم ... بِكُلِّ قَرْمٍ إلى لَحْمِ العِدا قَرِمِ

« كأنما الدين » وهو الاسلام ، (ما) زائدة ، اي كأن الاسلام .

« ضيف حل » اي نزل .

« ساحتهم » اي العدا .

« بكل قرم » بفتح القاف واسكان الراء ، اي سيد من الصحابة. والباء للمصاحبة .

« الى لحم العدا » اي الكفار ، وفيه اقامة الظاهر مقام المضمر .

« قرم » بكسر الراء ، اي شديد الشهوة للحم ، بان يصيرهم قتلى ولحوما معدة لأكل الجوارح .

---

(١) في الاصل : (اي) .

(٢) في الاصل : (مقاسات) .

١٢٥

يَجُرُّ بَحْرَ خميسٍ فَوْقَ سابِحَةٍ   يَرْمي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطالِ مُلْتَطِم

« يجر » ذلك السيد ، فالجملة صفة للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وقد عاد الضمير في ... (١) فالجملة حال منه او بدل ، اي يقود .

« بحر خميس » اي جيشا كالبحر في تموجه واهلاكه الكفار ، وهو من اضافة الصفة الى الموصوف .

« فوق » خيل .

« سابحة » اي جارية .

« يرمي » ذلك الخميس .

« بموج » صادر (٢) .

« من الابطال » جمع بطل ، اي شجاع .

« ملتطم » بعضه ببعض لهيجانه ، والمراد به الافعال الواصلة للكفار بآلات (٣) القتال من طعن وقتل وغيرهما . وسمي الجيش خميسا لانه خمسة اجزاء : مقدمة ، وقلب، وميمنة وميسرة، وساقة (٤).

١٢٦

مِنْ كُلِّ مُنْتَدَبٍ لِلّهِ مُحْتَسِبٍ
يَسْطو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

« من كل منتدب » بفتح الدال (٥) بدل من قوله : من الابطال أو صفة لـ « موج » اي مدعو (٦) .

---

(١) لوحظ وجود سقط في الاصل ، اذ لم يستقم النص في الصورة التي ورد بها .

(٢) في الاصل : (صاد) والتصويب من شروح البردة .

(٣) في الاصل : (بالآيات) .

(٤) في الاصل : (ساق) .

(٥) منتدب : مكسورة الدال عند جمهور الشراح ، وضبطت عند بعضهم بفتحها ، وقد اختار المؤلف رواية الفتح .

(٦) في الاصل : « مدعوا » .

« لله محتسب » بكسر السين ، اي طالب بعمله من الله الاجر والثواب •

« يسطو » (١) ذلك المنتدب ، اي يصول •

« بمستأصل » بكسر الصاد •

« للكفر » لاهله •

« مصطلم » لهم من آلات القتال من سيف وغيره • يقال : استأصله : قلعه من اصله و اصطلمه : اهلكه (٢) • وفي الصحاح والقاموس : الاصطلام : الاستئصال :

١٢٧

حتى غَدَتْ مِلَّةُ الإسْلامِ وَهْيَ بِهِمْ

مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِها مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

« حتى » متعلقة بـ يسطو (٣) ، وهو غاية لـ يجر او لـ يسطو •

« غدت » بغين معجمة ، اي صارت (٤) •

« ملة الاسلام » اضافة الاعم الى الاخص •

« وهي » اي الملة قائمة •

« بهم » اي بالصحابة الابطال • وجملة وهي بهم اعتراض •

« من بعد غربتها » متعلق بقوله :

« موصولة الرحم » بالنصب خبر غدت والغربة مأخوذة من خبر مسلم : بدأ (٥) الاسلام غريبا (٦) اي ظهر بين قوم لا يقومون بحقه، فهو مقطوع الرحم، ثم قام به الصحابة، رضي الله عنهم، فوصلوا رحمه (٧)•

---

(١) في الاصل : « يسطوا » .

(٢) في الاصل : « اهله » .

(٣) في الاصل : « يسطوا » .

(٤) اي من معاني « صار » العشرة .

(٥) في الاصل زيادة بعد بدأ الاسلام قوله : ضبط بدأ بالهمزة وهذه الزيادة من الناسخ او هي منقولة من قول المؤلف نفسه خلال تدريسه البردة .

(٦) سقطت من الاصل وهي موطن الشاهد هنا في النص .

(٧) ينص الحديث هذا : ان الاسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء .

١٢٨

مَكفولَةً ابداً مِنْهُم بِخَيْرِ أبٍ   وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

« مكفولة » خبر ثان لـ « غدت » او حال من فاعله ، اي محفوظة.

« ابدا منهم » اي الكفار .

« بخير اب وخير بعل » اي زوج ، وهو النبي ، صلى الله عليه وسلم .

« فلم تيتم » اي الملة من جهة الاب من يتم الولد : اذا مات ابوه وهو صغير .

« ولم تئم » (١) من جهة البعل من آمت (٢) المرأة : اذا خلت من زوج ومنه قوله تعالى : وانكحوا الايامى منكم (٣) والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، اشفق على امته من الاب على اولاده ، واقوم بمصالحهم من البعل على زوجاته ، والاب مبدأ الولد ، وهو ، صلى الله عليه وسلم ، مبدأ الدين ومصدره بالنسبة الينا ، والبعل منه النتاج ، فنتائج الدين واستنباطاته من ارشاده وأهل الملة وحالتها من فروعه واولاده مع حفظهم ، وحفظها عن الغوائل ، والغيرة عليهم من الضلال والرذائل .

١٢٩

هُمُ الجبالُ فَسَلْ عَنهُم مُصادِمَهُم   ماذا رأى مِنهُمُ في كُلِّ مُصْطَدَمِ

« هم » اي الصحابة .

« الجبال » اي كالجبال في الصلابة والصبر في الحرب ، وان شككت .

« فسل عنهم مصادمهم » في الحرب .

« ماذا رأى منهم » بالضم والاشباع ، من الشدة .

« في كل مصطدم » وهو مصدر ، او اسم مكان ، او اسم زمان . والثاني اقرب ، اي مكان اصطدام في الحرب ، فانه يخبرك

---

(١) في الاصل : « يئم » .

(٢) في الاصل : «امة » .

(٣) سورة النور : ٢٤ / ٣٢ .

به ، ولا يسعه كتمه . و المصادمة اصطكاك الصفين ، ومن يصادم الجبال اما ان ينهزم او يهلك . وماذا بدل اشتمال من ضمير عنهم .

١٣٠

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً

فُصولُ حَتْفٍ لَهُم أدْهى مِنَ ٱلوَخَمِ

« وسل حنينا » اي واد بين مكة والطائف .

« وسل بدرا » وهو موضع ما بين مكة والمدينة .

« وسل احدا » وهو جبل بقرب المدينة . اي سل اهل هذه الامكنة على حد واسأل القرية (١) او سلها هي ، وليس المراد حقيقة السؤال ، بل بيان تقرير الامر وتحقيقه ، حتى لو تصور مجيب لم يجب بغير المطلوب .

« فصول حتف » بصاد وحاء مهملتين ثم مستثناة فوقية (٢) ، اي انواع هلاك ، وهي نصبت بتقدير أعني او رفعت بتقدير هم .

« لهم » اي للكفار .

« ادهى » (٣) .

« من الوخم » اي أشد اصابة من الوباء المقتضي للهلاك غالبا ، انصب عليهم من قبل الصحابة ، رضي الله عنهم .

١٣١

أَلْمصْدِري البيضِ حُمْراً بَعْدَ ما وَرَدَتْ

مِنَ ٱلعِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

« المصدري » بضم الميم جمع سلامة لمصدر ، اسم فاعل من

---

(١) سورة يوسف ١٢ / ٨٢ .

(٢) في الاصل : نونته ، وقد استعجم الامر على الناسخ ، فأسقط كلمة (مثناة) وصحف كلمة (فوقية) وهذه الاصطلاحات معروفة في ضبط الكلمات .

(٣) في الاصل : (اذ هي) .

اصدر كذا ، اذا أرجعه ، وهو منصوب باضمار امدح اي الصحابة •

« البيض » اي السيوف المصقولة (١) ، او مطلقها ، وهو مجرور باضافة المصدري اليه ، ويجوز نصبه كما قرىء به : المقيمي الصلاة (٢)، وحذفت النون عليه تخفيفا ، وعلى الاول للاضافة •

« حمرا » من الدماء ، وهو حال منصوب من البيض •

« بعدما وردت » اي البيض ، اي بعد إرواع •

« من العدا » اي الكفار ، وهو متعلق بـ وردت ، او حال من قولـه :

« كل مسود من اللمم » جمـع لمة وهو الشعر المجـاوز شحمة الاذن • ومن فيه زائدة ، اذ المعنى على الاضافة، او بيانية، وهو اولى•

١٣٢

والكاتبين بِسُمْرِ الخَطّ ما تركَتْ

أقْلامُهم حَرْفَ جِسْمٍ غَيْر مُنْعَجِمِ

« والكاتبين » عطف على المصدري اي الطاعنين •

« بسمر الخط » بكسر الخاء المعجمة ، وهو شجر يعمـل منـه الرماح المعبر عنها :

« بسمر » جمع اسمر (٣) • وقيل : الخط موضع باليمامة يجلب اليه الرماح من الهند ، وعليه الجوهري •

« ما تركت اقلامهم » اي أسنة رماحهم •

« حرف جسم » من الكفار ، اي طرفه •

« غير منعجم » اي بلا طعن ، بل طعنته • يقال : اعجمت الكتاب اذا نقطته ، ومعناه : ازلت عجمته وانعجم مطاوعه (٤) ، والعجم النقط •

---

(١) في الاصل : (المسقولة) .

(٢) سورة الحج ٢٢ / ٣ .

(٣) في الاصل : (بالسمر) .

(٤) في الاصل : (مطارعة) .

١٣٣

شاكي السِّلاحَ لَهُم سيما تُمَيِّزُهُم   والوَرْدُ يَمْتازُ بالسِّيما عَنِ السَّلَمِ

« شاكي السلاح » اي تامه (١) ، وقيل : حاده (٢) ، من الشوكة (٣) اي الحدة ، وعليه الجوهري ، فهو مقلوب شائك وتركيبه كتركيب المصدري البيض .

« لهم سيما » بالقصر ويمد : اي علامة .

(تميزهم) عن غيرهم .

« والورد يمتاز بالسيما عن السلم » وهو شجر يشبه الورد ، ويمتاز الورد عنه ، اي عن زهره ، بحسن الخلقة وبهاء المنظر وطيب الرائحة .

١٣٤

تُهْدي إلَيْكَ رياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ

فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الأَكْمامِ كُلَّ كَمي

« تهدي » بضم التاء .

« اليك رياح النصر » اي التأييد .

« نشرهم » بالضم والاشباع ، اي خبرهم العجيب الشأن ، وأصل النشر الرائحة الطيبة .

« فتحسب » انت اي تظن .

« الزهر في الاكمام » جمع كم بكسر الكاف ، وهو غلافه .

« كل كمي » اي شجاع منهم في شجاعة ، من كمي (٤) جسده بالسلاح ستره به ، وهذا مفعول اول تحسب ، وما قبله الثاني . وقيل: هذا من التشبيه المقلوب على حد :

---

(١) في الاصل : (بامعة) .
(٢) في الاصل : (حادية) .
(٣) في الاصل : (الشركة) .
(٤) في الاصل : (كم) .

كأن لون ارضه سماؤه (١) .

والزهر في اكمامه احسن منظرا واطيب رائحة منه خارج الاكمام.

١٣٥

كأنّهُمْ في ظُهورِ الخَيْلِ نَبْتُ رِبا
مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ

« كأنهم » حال كونهم .

« في » اي على .

« ظهور الخيل » .

« نبت ربا » جمع ربوة مثلثة الراء ، وهي (٢) ما ارتفع من الارض ، ونبتها أثبت في الارض من نبت غيرها لطول عروقه حتى تصل الى الماء بخلاف نبت غيرها ، فهم في ظهور الخيل أثبت من غيرهم بكثير .

« من » أجل .

« شدة الحزم » بكسر الشين وفتح الحاء وسكون الزاي ، اي قوة الثبات (٣) .

« لا من شدة الحزم » بفتح الشين وضم الحاء والزاي ، وهو ما يشد به السرج او غيره على ظهر الدابة ، وايثاق شدة الحزْم من الحزُم .

١٣٦

طارَتْ قُلوبُ العِدا مِنْ بَأْسِهِمِ
فما تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ والبُهُمِ

(١) هذا الشاهد هو الشطر الثاني من بيت لرؤبة بن العجاج وشطره الاول قوله :

(وبلد مغبرة ارجاؤه)

والمروي في ديوان أراجيزه :

(وبلد عامية اعماؤه)

وفي رواية اخرى : (ومهمة) في مكان (وبلد) .

(٢) في الاصل : (وهو) .

(٣) في الاصل : (الشباب) .

« طارت قلوب العدا » جملة مستأنفة ، اي اضطربت .

« من بأسهم » اي من اجل شدتهم في الحرب .

« فرقا » (١) بفتح الفاء والراء ، اي فزعا ، وهو مفعول له ، او تمييز من شبه الطيران الى القلوب .

« فما تفرق » بضم التاء وفتح الفاء وكسر الراء المشددة ، اي القلوب .

« بين البهم » بفتح الباء وسكون الهاء ، وهي السخال ، جمع بهمة .

« والبهم » بضم الباء وفتح الهاء ، وهم الشجعان ، جمع بهمة (بضم الباء) (٢) وسكون الهاء .

المعنى : ان الفزع اشتد بقلوبهم الى ان صارت لا تمييز بين أقوى الانام واضعف الانعام .

١٣٧

وَمَنْ تَكُنْ برسولِ اللهِ نُصْرَتُهُ إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامها تَجِمِ

« ومن تكن برسول الله » صلى الله عليه وسلم .

« نصرته » على اعدائه .

« ان تلقه الاسد » وهي من اعظم الاعداء .

« في آجامها » اي غاباتها ، جمع أجمة (٣) وهي فيه اجرأ منها في غيرها .

« تجم » بكسر الجيم ، مضارع وجم اي تسكت ولا تتحرك خوفا ، والشرط الثاني وجوابه جواب الاول .

١٣٨

وَلَنْ ترى مِنْ وَلِيٍّ غيرَ مُنْتَصِرٍ بهِ ولا مِنْ عَدُوٍّ غيرَ مُنْقَصِمِ

---

(١) في الاصل : (بسكون الهاء) وقد استدركنا ما اسقطه الناسخ .
(٢) في الاصل : (فوقا) .
(٣) في الاصل : (اجم) .

« ولن ترى من ولي غير منتصر به » صلى الله عليه وسلم ، على عدوه .

« ولا » ترى .

« من عدو » له .

« غير منقصم » (١) بالقاف ، اي منكسر ، بل كل ولي به منتصر ، وكل عدو له منكسر . و من في الموضعين زائدة لتفيد (٢) العموم . و غير فيها يجوز الجر والنصب صفة لما قبله على اللفظ او المحل ، ويجوز النصب على الحالية وان كان نكرة لوقوعه بعد النفي .

١٣٩

أَحلَّ أُمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كاللَّيْثِ مَعَ الأَشْبالِ في أَجَمِ

« أحل » اي انزل .

« أمته في حرز ملته » وهو ما يحفظهم باتباعهم لها من نار الكفر.

« كالليث » اي كالاسد ، حالة كونه .

« حل مع الاشبال » جمع شبل وهم اولاده .

« في أجم » بفتحتين ، جمع أجمة وهي الغابة حفظا لها ممن تتعرض لها . والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، كالاب لامته في شفقته عليهم كما مر ، وهو سبب حياتهم الابدية في الجنة وحضرة القدس .

١٤٠

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِماتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ ... فيهِ وكَمْ خَصَّمَ البُرْهانُ مِنْ خَصِمِ

« كم جدلت » بتشديد الدال اي قطعت .

« كلمات الله » وهي القرآن .

« من جدل » بكسر الدال ، اي شديد الجدل .

« فيه » اي في النبي ، صلى الله عليه وسلم .

« وكم خصم » تشديد الصاد ويجوز تخفيفها .

---

(١) في الاصل : (منقهم) .

(٢) في الاصل : (لتصفية) .

« البرهان » اي الدليل القاطع فيه •

« من خصم » بكسر الصاد ، اي شديد الخصام • و كم في الموضعين ، (بمعنى : كثيرا ، والمجرور (١) تمييز لها •

١٤١

كفاكَ بِالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً   فِي الجاهليَّةِ والتَّأْديبِ فِي الْيُتُمِ

« كفاك » أيها الطالب المعجزة •

« بالعلم » الباء زائدة •

« في الامي » وهو لا يكتب ، ولا تعلّم من معلم •

« معجزة » تمييز ، وتعلق بـ كفى قوله •

« في الجاهلية » وهو زمان لا علم فيه •

« والتأديب » بالجر عطف على العلم •

« في اليتم » بضم التاء (الفوقية) لغة في سكونها ، مصدر يتم • وتقدم ان اليتيم من مات ابوه وهو صغير ، والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، مات ابوه قبل ولادته ، وقيل بعدها ، وتربى في كفالة عمه أبي طالب مؤدبا ، وقد قال ، صلى الله عليه وسلم : ان الله أدبني فأحسن تأديبي رواه ابن السمعاني من حديث ابن مسعود ، وصححه ابن ناصر • واراد بـ المعجزة مجرد الامر الخارق للعادة ، وان اعتبروا فيها مع ذلك قرنها بالتحدي (٢) اي دعوى الرسالة مع عدم المعارضة من المرسل اليهم •

---

(١) زيادة اقتضاها سياق النص لوجود سقط من الاصل ، وقد استدركناه من شرح الباجوري •

(٢) في الاصل : (بالتجديد) .

القسم التاسع

التوسّل والتشفّع

١٤٢

خدَمْتُهُ بمديحٍ أستقيلُ بِهِ
ذُنوبَ عُمْرٍ مضى في الشِّعرِ والخَدَمِ

« خدمته » اي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، اي مدحته .

« بمديح » وهو هذا النظم الذي اخلص فيه النيـة . وقوله :

« استقيل » حال من التاء في خدمته اي اطلب مـن الله تعالى ان يقيلني .

« به » اي بسببه .

« ذنوب عمر مضى فـي الشعر والخدم » لابناء الدنيـا بمدح وغيره ، فقد كان ــ رحمه الله ــ شاعرا مفلقا (١) ، وعانى في شبوبيته الكتابـة والتصرف ، وباشر الشعر فـي بلبيس (٢) والمعصية بالشعر معصية باللسان ، وبالخدم معصية بالجوارح .

١٤٣

اذ قَلَّدانِيَ ما تُخشى عواقِبُهُ
كأنّني بهما هَدْيٌ من النَّعمِ

« اذ » تعليلية .

« قلداني » اي الشعر والخدم .

« ما تخشى عواقبه » وهي الآثام ، وعواقبه انواع العذاب ، اي جعلاه كالقلادة في عنقي .

« كأنني بهما » اي بسببهما .

« هدي » كائن .

« من النعم » وهي الابل والبقر والغنـم ، ومن شأن الهدي أن يقلد بتعليق شيء في عنقه ليعلم انه هدي ، فـلا يتعرض لـه ، ثم ينحر .

---

(١) في الاصل : (معلقا) .

(٢) في الاصل : « فيه بليس » والصواب مـا اثبتناه لان البوصيري باشر صناعة الكتابة في الشرقية ببلبيس ايام شبابه .

١٤٤

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبا في الحالتين وما
حَصَلْتُ إِلَّا على الآثامِ والنَّدَمِ

« أطعت غي الصبا » وهو الاغترار بالاباطيل ، والركـون الى العاجل ، وترك النظر في الآجل .

« في الحالتين » اي حالتي: الشعر والخدم .

« وما حصلت الا على الآثام » من جهتهما .

« والندم » عليهما الذي هو توبة .

١٤٥

فيا خسارة نَفْسٍ في تِجارَتِها
لم تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولمْ تَسُمِ

« فيا خسارة نفس » فيه معنى التعجب ، اي ما اخسرها .

« في تجارتها » وهي أنها .

« لم تشتر الدين بالدنيا » اي لم تتخذه بدلها .

« ولم تسم » اي لم تتعرض لاخذه ، بل اخذت الدنيا ، وتركت الدين الذي يتجر به في الآخرة ، فهي خاسرة فـي ذلك خسرانا بيّناً ، وكأنه عني نفسه باتباع الشعر والخدم .

١٤٦

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعاجِلِهِ
يَبِنْ لَهُ الغُبْنُ في بَيْعٍ وفي سَلَمِ

« ومن يبيع آجلا منه » اي من الدين بان يعطيه (ب) دنيا .

« عاجله » وقد تحصل له ، وفي نسخة بآجله مضافا للضمير ، اي بما يؤجله من الدنيا .

« يبن » اي يظهر .

« له الغبن في بيع وفي سلم » حيث اعطى معجلا بمؤجل قـد لا يحصل له . وفي نسخة : ومن يبع آجلا منه بعاجله مضافا للضمير ، اي ثوابا له في الآخرة المحققة الباقية بشيء يأخذه من الدنيا الذاهبة .

١٤٧

إنْ آتِ ذَنْباً فماعَهْدي بِمُنْتَقِضٍ مِنَ النَّبيِّ ولا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

« ان آت ذنبا » بعد توبتي بالندم .

« فما عهدي » وهو عهد الايمان .

« بمنتقض من النبي » صلى الله عليه وسلم ، بذلك ، لان نقض التوبة بارتكاب الذنب لا ينقض عهد الايمان .

« ولا حبلي » اي وصلي بالنبي ، صلى الله عليه وسلم .

« بمنصرم » اي منقطع بذلك ايضا ، وان كان من شأن الذنب قطع المودة .

١٤٨

فإنّ لي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيتي مُحَمَّداً وهُوَ أوْفى الْخَلْقِ بالذِّمَمِ

« فان لي ذمة » اي جوارا .

« منه » اي من النبي ، صلى الله عليه وسلم .

« بتسميتي محمدا » (١) اي بسببها . وارتكاب الذنوب لا يقطع التسمية .

« وهو اوفى الخلق بالذمم » فيقوم بحقها بان يشفع في اهلها .

١٤٩

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادي آخذاً بِيَدي فَضْلاً وإلّا فَقلْ : يا زَلَّةَ الْقَدَمِ

« ان لم يكن » النبي ، صلى الله عليه وسلم .

« في معادي » اي عودي في الآخرة للجزاء ، فهو مصدر ، ويجوز ان يراد مكان العود .

« آخذ بيدي » بان يشفع فيّ .

« فضلا » منه .

« والا » يعني : وان يكن في معادي كذلك ، فهو بمعنى الشرط الاول تأكيد له ، وجوابهما قوله :

---

(١) اشارة الى اسمه (محمد بن سعيد بن حماد) .

« فقل » خطاب لمن جرده من نفسه لي •

« يا زلة القدم » يكنى بهذا عن سوء الحال والوقوع في شدة

١٥٠

حاشاهُ أنْ يُحْرَمَ الرَّاجي مَكارِمَهُ

أوْ يَرْجِعَ الجارُ فيه غَيْرَ مُحْتَرَمِ

« حاشاه » اسم مضاف بمعنى التنزيه ، اي أنزهه تنزيها عن •

« أن يحرم » بضم الياء وفتحها مع كسر الراء فيها ، اي يمنع •

« الراجي » له وتسكين يائه ضرورة او لغة •

« مكارمه » جمع مكرمة بمعنى شفاعة ، ويجوز ان يراد المعنى الاعم ، وهو أسدئ للخيرات (١) من جهته • وفي نسخة أن يحرم الانسان راجيه •

« أو » عن أن •

« يرجع الجار » اي الداخل في جواره •

« فيه » اي من النبي ، صلى الله عليه وسلم •

« غير محترم » بل يرجع محترما بالشفاعة فيه ، اي وانا راج له داخل في جواره ، وفي نسخة ضبط يحرم بالبناء للمفعول ، فالراجي مرفوع نيابة عن الفاعل ، وهو الله تعالى ، واكثر السماع عن هذه النسخة •

١٥١

ومُنْذُ ألْزَمْتُ أفْكاري مَدائِحَهُ وَجَدْتُهُ لِخَلاصي خَيْرَ مُلْتَزِمِ

« ومنذ ألزمت افكاري » جمع فكر ، وهو حركة النفس في المعقولات •

« مدائحه » جمع مديح (٢) ، وهو كالمدح ، الثناء الحسن •

---

(١) في الاصل : (الخيرات) .

(٢) جاء في شرح الازهري على البردة : والمدائح جمع مديحة لا جمع مديح لان فعيلا لا يجمع على فعائل .

« وجدته » اي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، اي علمته .
« لخلاصي » مما سيأتي من مرض وغيره ، واللام لتعدية الفاعل.
« خير ملتزم » بكسر الزاي بأن وفى بخلاصي في احسن الوجوه.

١٥٢

وَلَنْ يَفوتَ ٱلْغِنى مِنهُ يداً تَرِبَتْ

إنّ الحيا يُنْبتُ الأزْهارَ في الأكَمِ

« ولن يفوت الغنى منه يدا تربت » اي افتقرت لعموم الغنى (١) منه كجميع (٢) الايدي المفتقرة ، ومنها يدي ، وهذه الجملة مستأنفة (منه) للغنى ، او حال منه ، و (من) لابتداء الغاية .

« ان الحيا » اي المطر .

« ينبت الازهار » وقوله :

« في الاكم » متعلق بـ ينبت وهي جمع أكمة وهي الربوة لعموم المطر لها من أنها لعلوها مظنة عدم النبات لعدم ثبات الماء عليها ، فكما لم يفتها مع ذلك النبات لم يفت الغنى من النبي صلى الله عليه وسلم ، يدا لا يظن غناها .

١٥٣

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت يدا (٣) زهير بما أثنى على هرم

« ولم أرد » بغنى الايدي منه .

« زهرة الدنيا » اي مستلذاتها من المال وغيره .

---

(١) في الاصل : « الغنا » .
(٢) في الاصل : « لجميع » .
(٣) اشار الشارح الى لغة ثانية في لفظة (يد) . يقول ابن سيدة : واليدا لغة في اليد ، جاء متمما على فعل ، عن ابي زيد ، وانشد :
يا رب سار سار ما توسدا الا ذراع العنس او كف اليدا
(اللسان مادة « يدي ») .
ونقل الازهري في شرحه هذه الرواية : (ويجوز ان يكون مفردا مقصورا على لغة من قال : يا رب ... ص ٧٤) .

« التي اقتطفت » ها اي اخذتها ، وفي نسخة اقتطفت .

« يدا زهير » بن ابي سلمى ، بضم السين ، الشاعر الجاهلي .

« بما أثنى على هرم » بكسر الراء ، وهو ابن سنان ، احد اجواد العرب ، وقد وصله بصلات (١) كثيرة خارجة عن العادة ، وانما أردت الغنى (٢) منه بالشفاعة في المذنبين . و ما مصدرية او موصولة ، والعائد محذوف .

---

(١) في الاصل : (بصلاة) .
(٢) في الاصل : (الغنا) .

القسمُ العاشِرَ

المناجاة والتضرُّع

ثم التفت من الغيبة الى الخطاب في مقام التضرع ، فقال :

١٥٤

يا أكرمَ الرُّسلِ مالي مَنْ ألوذُ بهِ

سِواكَ عِنْدَ حُلولِ الحادِثِ العَمِمِ

« يا أكرم الرسل » باسكان السين لغة في ضمها ، وفي نسخة (يا أكرم الخلق) اي عند الله تعالى وعند غيره ، وهو من الكرم بمعنى السخاء ، ويجوز ان يكون من الكرامة بمعنى الشرف والفضل .

« ما لي من ألوذ به » بالذال المعجمة ، اي الجأ اليه .

« سواك عند حلول الحادث العمم » من عمّ بفتح العين المهملة وكسر الميمين (١) ، اي الشامل للخلق وهو هول يوم القيامة .

١٥٥

وَلَنْ يضيقَ ، رسولُ اللهِ جاهُكَ بي

إذا الكريمُ تحلّى باسْمِ مُنْتَقِمِ

« ولن يضيق رسول الله جاهك بي اذا الكريم » وهو الله تعالى .

« تحلى » بحاء مهملة ، اي اتصف ، هكذا الرواية . وفي نسخة تجلى بالجيم المعجمة ، ومعناه صحيح ، وهو أليق بالتعظيم ، وعلق بذلك قوله :

« باسم منتقم » من المذنبين ، وانا منهم ، فتجود علي بالشفاعة . وجواب اذا عند الكوفيين ما قبلها ، وعند البصريين يقدّر (٢) بعد مدخولها ، يدل عليه ما قبله (٣) . وفي نسخة بدل (اذا) (اذ) فتكون تعليلية وهو أولى .

---

(١) في الاصل : (وبالعين المهملة وبفتح الميمين وبكسر الميم الاول) والتصويب من شرح الازهري ص ٧٥ .

(٢) في الاصل : (تقدر) .

(٣) اورد ابو البركات الانباري في كتابة (الانصاف في مسائل الخلاف) راي البصريين والكوفيين في تقديم جواب الشرط ومعموله على اداة الشرط . (الانصاف ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤) .

١٥٦

فانّ مِن ّجودِكَ الدُّنياوضَرَّتَها ومِن ّعُلومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَم

« فان من وجودك » الذي جاد الله به عليك .

« الدنيا وضرتها » وهي الآخرة ، اي خيرهما . ومن خير الدنيا هدايته للناس ، ومن خير الآخرة شفاعته فيهم .

« أو » أن .

« من علومك » التي علمها الله لك اي معلوماتك .

« علم اللوح والقلم » فان الله تعالى اطلعه على ما كتب القلم في اللوح المحفوظ ، وعلى علوم الاولين والآخرين ، وهذا من جاهه عند الله تعالى ، والجاه القدرة والمنزلة . ومما ورد في سؤاله الشفاعة خبر انس قال : سألت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن يشفع لي يوم القيامة، فقال : انا فاعل حسنه الترمذي . وكرر من لئلا يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين فيهما .

١٥٧

يا نَفْسُ لا تَقنَطي مِنْ زَلَّةٍ عَظمَتْ

إنّ الكبائِرَ في الغُفْرانِ كاللّمَم

« يا نفس » والاصل يا نفسي .

« لا تقنطي » بضم النون وكسرها على لغة فتحها في ماضيه ، وبفتحها على لغة كسرها في ماضيه .

« من » عفو .

« زلة » اي ذنب .

« عظمت » اي كبرت .

«ان الكبائر في الغفران كاللمم» وهي صغار الذنوب، فيجوز العفو عنها . قال تعالى : ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (١) . ومن للتعدية مع تقدير عفو فان لم يقدر فللتعليل .

---

(١) سورة النساء ٤/٨٤ .

١٥٨

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيَانِ فِي القِسَمِ

« لعل رحمة ربي حين يقسمها » بين الخلائق •

« تأتي على حسب » اي قدر •

« العصيان » اي (المعصية) (١) الكبرى والصغرى •

« في القسم » جمع قسمة بمعنى قسم ، ولعل حرف ترج (٢) ترجي عموم الرحمة للكبائر والصغائر • وفي خبر الصحيحين : انا عند حسن ظن عبدي بي (٣) •

١٥٩

يا ربِّ وَاجْعَل رجائي غَيرَ مُنعَكِسٍ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حسابي غَيرَ مُنخَرِمِ

« يا رب » فيه ما مر في (يا نفس) ارحمني ، وقيل : انه عطف على مقدر وانما قدر : (ارحمني) لدلالة البيت السابق •

« واجعل » وفي نسخة فاجعل •

« رجائي » للرحمة •

« غير منعكس » اي غير خائب •

« لديك » اي عندك ، وهو متعلق بـ اجعل او بـ منعكس •

« واجعل حسابي » اي ما حسبته وقدرته من العفو •

« غير منخرم » اي غير منقطع عندك بان يحصل الموجود والمحسوب من عفوك عن ذنوبي كبيرها وصغيرها •

---

(١) زيادة غير موجودة في الاصل اسقطها الناسخ سهوا وقد اقتضاها النص •

(٢) في الاصل : (ترجي) والتنوين هنا يقتضي حذفها .

(٣) في الاصل : (انا عند حسن عبدي) .

١٦٠

وَٱلْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْراً متى تَدْعُهُ الأَهْوالُ يَنهَزِمِ

« والطف » اي وارفق كما هو في نسخة .

« بعبدك » يريد نفسه .

« في الدارين » اي الدنيا والآخرة فيما قدر عليه من المؤلمات بتخفيضها .

« ان له صبرا » على ما يصيبه فيهما لكن .

« متى تدعه الاهوال » اي تطلبه ، وهي الامور المخوفة .

« ينهزم » ولا يثبت فيهلك هو ، وباللطف يندفع الهلاك . ويدل لمطلوبه الرفق خبر البخاري : ان الله يحب الرفق في الامر كله (١) .

١٦١

وَأْئذَنْ لسُحْبِ صلاةٍ مِنكَ دائِمَةٍ
على النبيِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ

« وائذن » اي اسمح وأبح (٢) .

« لسحب صلاة منك دائمة على النبي » صلى الله عليه وسلم .

« بمنهل » اي بمطر شديد كثير .

« ومنسجم » اي مطر غير شديد ، وان كان كثيرا .

والسحب باسكان الحاء لغة في ضمها جمع سحاب وهو الغيم .

ولام السحب للتعدية ومنك ودائمة صفتان لـ الصلاة وكان ينبغي ان يأتي بالسلام ليخرج من كراهة افراد احدهما عن الآخر ، ولعله سلم لفظا .

---

(١) في الحديث : ما كان الرفق في شيء الا زانه اي اللطف . وفيه « في ارفاق ضعيفهم وسد خلتهم » اي ايصال الرفق اليهم وفيه انت رفيق والله الطبيب اي انت ترفق بالمريض وتلطفه ، والله الذي يبرئه ويعافيه .

(٢) في الاصل : « اصح وانح » والصواب ما اثبتناه .

ما رَنَّحَتْ عَذَباتُ ٱلبانِ ريحُ صَبا
وأَطْرَبَ ٱلعِيسَ حادي ٱلعيسِ بالنغَم

« ما رنحت » بنون (مشددة) (١) وحاء مهملة اي ميلت (٢) .

و « ما » مصدرية ظرفية .

« عذبات البان » بذال معجمة ، اي اغصانه .

« ريح صبا » من اضافة العام الى الخاص ، وهي التي تأتي من المشرق صوب باب الكعبة ، وكأنها تصبو (٣) اليها ، اي تميل .

« وأطرب العيس » وهي من كرام الابل ، بيض يخالطها شقرة . و العيس اصلها بالضم ، وكسرت لسكون الياء بعدها ، وهي جمع أعيس .

« حادي العيس » وهم أصحاب الابل في السفر وفي نسخة حادي الركب .

« بالنغم » بفتح النون اي (٤) بالصوت الحسن . وحادي فاعل (أطرب) من (حدا يحدو (٥) حدوا) ، وهو سوق الابل والغناء لها فتطرب ، و الطرب خفة تنشأ عن سرور تقتضيه (٦) للحركة والسرعة والنشاط .

والحاصل أنه شبه الصلاة على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، التي يطلب عمومها في الاوقات ، بالسحب التي تعم الآفاق ، وما ذكره من ان للصلاة المذكورة سحبا وسأل امطارها مدة ، من تخيلات الشعراء والله سبحانه وتعالى اعلم .

---

(١) اضيفت هذه الزيادة توضيحا للشرح جريا على النسق الذي اتبعه المؤلف نفسه .

(٢) في الاصل : « ميلة » .

(٣) في الاصل : « تصبوا » .

(٤) في الاصل : (او) .

(٥) في الاصل : (يحددا) .

(٦) في الاصل : (تقتضيته) .

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الانصاف في مسائل الخلاف لعبد الرحمن الانباري .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٤ هـ ١٩٥٤ م .

٢ ـ الايضاح لجلال الدين القزويني .
تحقيق المرحوم عز الدين التنوخي .
طبع جامعة دمشق سنة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م .

٣ ـ الخزانة (تقديم ابي بكر) لابن حجة الحموي .
دار الطباعة بالقاهرة سنة ١٢٩١ هـ .

٤ ـ ديوان البحتري .
تحقيق حسن كامل الصيرفي . دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ـ١٩٦٥

٥ ـ ديوان البوصيري ـ
طبع بالقاهرة

٦ ـ ديوان رؤبة بن العجاج .

٧ ـ شرح البردة للشيخ خالد الازهري .
المطبوعة في هامش شرح الباجوري طبع دار الكتب العربية بمصر سنة ١٣٢٥ .

٨ ـ شرح البردة للشيخ خالد الازهري
تقديم وتعليق محمد حسن ومراجعة ابراهيم الوائلي
مكتبة الاندلس ببغداد سنة ١٩٦٦ .

٩ ـ شرح البردة للشيخ الباجوري .
طبع دار الكتب العربية الكبرى بمصر سنة ١٣٢٥ هـ .

١٠ ـ لسان العرب لابن منظور . دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٥٥م ـ ١٣٧٤ هـ .

١١ ـ المدائح النبوية للدكتور زكي مبارك .
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٧ .

١٢ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٤٢ الجزء الرابع .

فهرست الأعلام

فهرس المحتويات

صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة
الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007
يُهدى ويُوضع في المكتبات ولا يباع

ردمك: ISBN : 978-9947-24-176-9
الايداع القانوني: 2007-771

سحب الطباعة الشعبية للجيش
الجزائر - 2007

ISBN : 978-9947-24-176-9

9 789947 241769